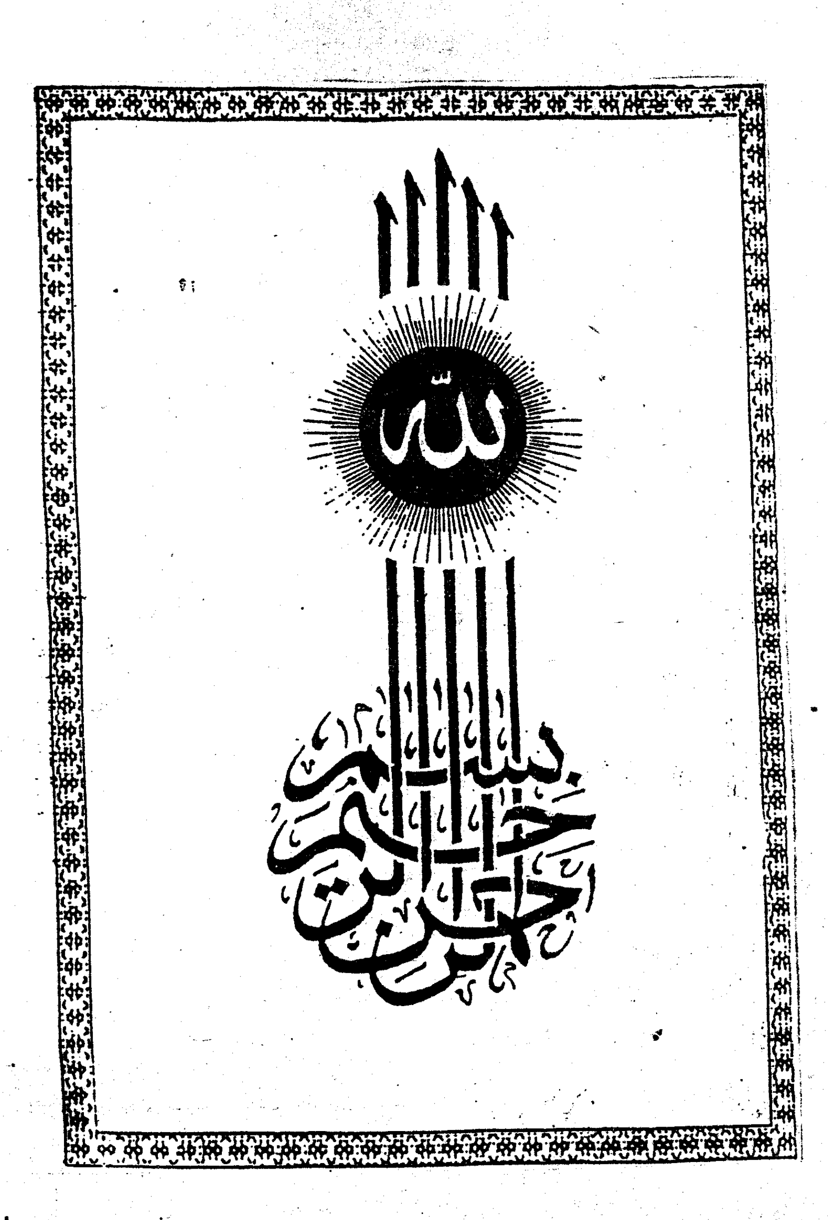
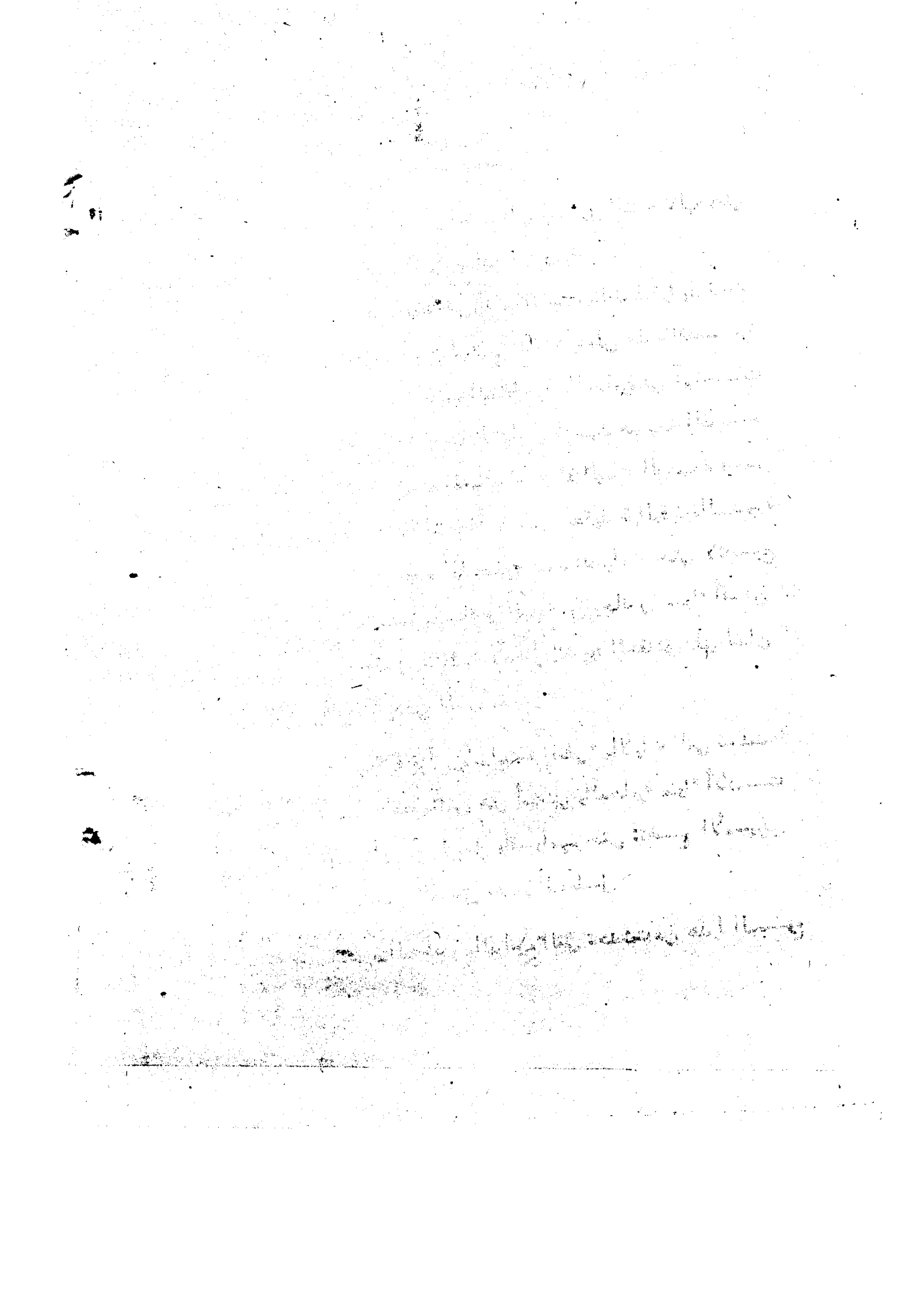
جـــامعـة الازهـــر
كليةأصول الدين والدعوة الإسلامية
بطـــنطـــا

دراسات
فى
علم أدب البحث والمناظرة

تأليف الدكتور
جمال سيد أحمد شلبى
مدرس العقيدة والفلسفة

١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم



" المقدمة "

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله - عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم .. وبعد

فهذا كتاب " دراسات في أدب البحث والمناظرة) بذلت فيه قدر جهدي ومبلغ علمي ليخرج الكتاب على هذه الصورة أخذا في الاعتبار أن أبرز جانب المناظرة والمحاورة في آيات القرآن الكريم الكثيرة المتنوعة الجوانب ، حيث هو يعد القائد والرائد والمعلم للحوار والمناقشة والمجادلة البناءة البعيدة عن السفسطة والتلاعب بالالفاظ حفاظا على الحقيقة اليقينية المنشودة وحفاظا على الانسان ومصالحه في هذه الحياة ، حتى لا تصبح الحياة ضربا من العبث يجادل فيها من يجادل سواء أكان علي حق أم على باطل وتنقلب الأمور وتتشوه الحقائق على لسان من هو ألحن من أخيه في الحجة .

من هنا جاء القرآن بأسلوبه العلمي بالآيات التي تعلمنا المناظرة والمجادلة بالتي هي أحسن والمحاورة سواء أكانت بين الله ورسله أو بين الرسل وأقوامهم حتى تتضح الأمور في تثبيت دعائم وأسس الحق وهدم الباطل .

ورغم قلة المصادر والمراجع التي تحدثت عن هذا النوع

من هذا العلم الا أنني بذلت قدر طاقتي اعتمادا على الثقافة العامة التي حصلتها واكتسبتها خلال دراساتي السابقة ٠ بالاضافة الى الاستعانة بأهم المراجع مثل : ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة للشيخ عبد الرحمن حسن الميدانى المشهور بابن حبنكة ٠ والكافيه في الجدل للامام الجوينى ٠ وأسلوب المحاورة في القرآن الكريم د / عبد الحليم حفني ٠ وتاريخ الجدل للشيخ أبو زهرة ٠ ونقض المنطق لابن تيمية ٠٠ الى آخر المصادر التي قد جمعت أهمها في ثبت المراجع في نهاية هذا الكتاب ٠

وقد عرفت في هذا الكتاب لكثير من المصطلحات التي تعد هي جوهر موضوعات هذا العلم مع معالجة أهم الأمور الواجب اتباعها لهذا العلم كي يتسنى الداعية المسلم أن يناقش ويحاور ويناظر بموضوعية مصحوبة بالتسلح بقواعد هذا العلم حتى يتمكن من افحام المكابر الخصم المنبه للعقائد الاسلامية ويلزمه التسليم المبني على قواعد المنطق ٠

لذا يجب على كل مسلم وداعية أن يلم بقواعد هذا العلم ويتمسك به وفق المنهج الاسلامي حتى يتسنى له

الدفاع عن قضية هو مؤمن بها ويضع لها الاسانيد اللازمة والادلة الصحيحة ويمنع أسئلة السائلين والمعترضين تحت مسميات علمية ومصطلحات معروفة مثل السائل ، والمعترض والمانع ، والمعلل .. الى آخر هذه المسميات ..

وفي آخر كلمتي هذه لا يسعني الا أن أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينفعني به يوم لقائه .

د. جمال شلبي

الفصل الأول

نشأة فن آداب البحث والمناظرة

" الفصـــل الأول "

" نشأة فن آداب البحث والمناظـرة والمجادلـة "

تمهيـد :

كي نفهم كلمـة " أدب البحث " لابد لنا أن نعرف معنى كلمة " بحث " ومعنى كلمـة " أدب " كل على حـدة .

البحث تعني هذه الكلمة المشقة وبذل الجهد والطاقة فـي الوصـول الى شيء مـا .

أما الأدب فهو التعبير عن تجربة انسانية موثرة بعبارة موحية مصـورة . وعلى ذلك فالبحث الادبي بالاضافة هو بذل الجهـد والتفكـير والتنقيب عن التجـارب الانسانية التي أثـرت في العقل الانسـاني .

والادب كلمة عـامة تطلق على كل المعارف والمشاعر الانسانية فهو المعرفـة وهو التجـارب . وهو المشاعر الانسانية عامة .. وذلك يقول ابن قتيبـة : من أراد أن يكون عالما . فليتبحـر فـي علم العلوم . ومن أراد أن يكون أديبـا فليتبحر في كل العلوم " (١)

---

(١) راجع: محاضرات في البحث الادبي — د / محمد عبد الرحمـن المسلوت ص . سنة ١٩٨١م .

فالادب اذا هو ثمرة من تجارب الانسان وصدى عواطفه، أو هو بمعنى الرياضة المحمودة التي تفضي بالانسان الى فضيلة من الفضائل . واذا كنا هنا في هذا البحث لانريد أن نأخذ كلمة الأدب على حدة ولكن نضيف اليها لفظة المناظرة كما هو واضح من عنوان الكتاب . وان شاء الله سنبين ذلك تماما بعد اعطاء نبذة مختصرة عن نشأة هذا الفن .

اعتاد أهل الفكر ولاسيما المشتغلين منهم بالفلسفة وعلم الكلام، أن يعتبروا " الجدل أو ما يسمى بالمحاورة والمناظرة" أسلوب تحصيل معرفة غير يقينية . متأثرين في ذلك بتراث فلسفي متوارث من الفكر اليوناني وخاصة التراث الارسطي . وتراءى لهم أن العرب في العصور الوسطى على اختلاف فئاتهم قد أخذوا الجدل عن التراث الفكري اليوناني . وأنهم خاضوا فيه على اعتبار أنه وسيلة توصل الى معارف لاتصل الى مرتبة ظنية من حيث اليقين ولكن الاصوليين من أهل الكلام والفقه اتخذوا منذ البداية نشاطهم الفكري . مواقف في تحصيل المعارف عرفت بـ " الجدل" وهو من نتاج قريحتهم وممارستهم للعلم . خاصة علوم الدين . ولهم في ذلك أقوال تعرف بالجدل من حيث اللغة ومن حيث الاصطلاح . وتبين الاسس التي يقوم

الجدل عليها . وهذه الاسس ترتبط بمذاهبهم في المعرفة أو مدارك العلوم عامة . والعلوم الدينية خاصة بحيث نجد أن الكلام في الجدل بالنسبة لأية شخصية من أهل علم الاصول . يقتضي التعرض لآراء هذه الشخصية في العلم . الامر الذى جعل للجدل عندهم منذ البداية سمة الأداء الى اليقين دون المعرفة الظنية .

ومما هو جدير بالذكر أن الجدل والمناظرة قد أطلق على مجموعة من القواعد والاداب العامة التي وضعت ليتقيد بها المتجادلان أو المتناظران حول موضوع معين وظهرت هذه الصورة حول الموضوعات التي يدخل فيها موضوع الجدل مثل موضوعات المنطق والفلسفة وعلم الكلام وعلم أصول الفقه وعلم الفقه .. ونلاحظ نماذج تدل على هذا في مناظرات الامام الشافعي للفقهاء في عصره ومناظرات أبي حنيفة ومناظرات سائر الأئمة الفقهاء وغيرهم . ومناظرات جرت بين الاشعرى وأستاذه الجبائي التي انتهت بافحام الاشعرى لأستاذه وتركه المذهب الذى تربى على موائده طيلة أربعين عاما .

وكثر الجدل بين علماء التوحيد وبين غيرهم فلاسفة وملاحدة . وأنصار ديانات مخالفة للاسلام وكثر الجدال أيضا

بين الفقهاء والاصوليين حول الخلافات الفقهية وأصولها .
ثم تدرج الجدل والمناظرة والمحاورة الى أن وصل الى علم أو فن ترسم له قواعد وآداب يجب على كل من يمارس هذا العلم وأصوله أن يلتزم بها لتكون مثمرة ومؤدية للغرض المطلوب والوصول الى الحق من أقرب طريق . وتكون بعيدة عن الجنوح المذموم الذى تندفع اليه النفوس وبدافع الهوى والتعصب للرأى أو سفسطة الأمور .

وفى هذا ما يدل دلالة واضحة على الفرق بين الجدل المبنى على قواعد وآداب معينة بغية الوصول للحق . والجدل الذى كان موجودا عند اليونان . سواء كان عند السوفسطائيين أو غيرهم . باستثناء الجدل السقراطى . نرى هذا النوع الثانى كان موجودا من أجل بلبلة أفكار الناس وضياع الحقيقة . أما الجدل الذى ظهر بين علماء الفقه وأصوله وعلماء الكلام نراه محمودا وهدفه كشف الحقيقة وبيانها وهذا هو الذى حث عليه القرآن الكريم فى كثير من آياته .

هذا بالاضافة الى أن علماء الصدر الأول للاسلام كانوا فى أتم درجات الحكمة والمعرفة لما وهبهم الله من سلامة الفطرة وصفاء الذهن وقوة العقيدة وكان بينهم صلى الله عليه وسلم

بحر العلوم يتزودوا منه وقت الظمأ والحاجة • وهذا لا يمنع أنه كان بينهم محاورات ومناظرات تجرى بينهم على وفق الكتاب والسنة قولا وعملا وسلوكا •

فلما طال العهد وقصرت القرائح احتاج الناس الى استنباط قواعد ومناهج يلتزمها المتباحثان •• فكان أول من وضع القواعد والمناهج لهذا العلم " ركن الدين أبو حامد محمد العميدى الحنفى " صاحب كتاب " الارشاد " والمتوفى سنة ٦١٥ هـ • ثم تبعه الناس فألفوا فى هذا الفن كتبا متعمقة وزادوا على ماكتبه العميدى بعض زيادات •

وللامام الرازى المتوفى سنة (٦٧٦هـ) وهو معاصر للعميدى زيادات فيه • وأشهر كتاب من الكتب لهذا الفن هو كتاب ألفه شمس الدين محمد بن أشرف الحسينى السمرقندى المتوفى سنة ٦٠٠ هـ • وقد اعتنى العلماء من بعد هذا الكتاب • فكتبوا عليه تعليقات كثيرة •

وأخذ العلماء بعد ذلك يضبطون مناظرتهم وجدلياتهم وفق قواعد هذا الفن •

تعريف المناظرة :

المناظرة هي : المحاورة بين فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الفريق الآخر، فهو يحاول اثبات وجهة نظره وابطال وجهة نظر خصمه، مع رغبته الصادقة بظهور الحق والاعتراف به لدى ظهوره وانشاء الله سنعرض لتعريفات كثيرة للمناظرة في موضعها من هذا البحث .

موضوع علم آداب البحث والمناظرة :

ان آداب البحث والمناظرة مرتبط بعلم المنطق، ولذلك عد علم أدب البحث والمناظرة : فرع من فروع علم المنطق . وبناء على ذلك يصبح موضوع أدب البحث والمناظرة : القضايا الكلية التي تندرج تحتها الابحاث الجزئية مثل قضايا المنع والممانعة كما يقول السيد الشريف الجرجاني : " امتناع السائل عن قبول ما أوجبه المعلل من غير دليل ، والمعلل هو الذي ينصب نفسه لاثبات الحكم بالدليل ." (١)

كما أنه من موضوعه كذلك " المعارضة " والمعارضة لغة : المقابلة على سبيل الممانعة ، واصطلاحا هي : اقامة الدليل

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٢٠٧

على خلاف ما أقام الدليل عليه الخصم ودليل المعارض ان كان عليه دليل المعلل يسمى قلبا . والا فان كانت صورته كصورته يسمى معارضة بالمثل . والا فمعارضة بالغير . وتقه يرهـا اذا استدل على المطلوب بدليل . فالخصم منع مقدمة من مقدماته أو كل واحدة منها على التعيين . وذلك يسمى منعا مجردا . ومناقضة ونقضا تفصيليا . ولا يحتاج في ذلك الى شاهد . فان ذكر شيئا يتقوى به يسمى سندا للمنع . وان منع مقدمة تجدها معينة بأن يقول ليس دليلك بجميع مقدماته صحيحا ومعناه أن فيها خللا فذلك يسمى نقضا اجماليا . لابد ههنا من شاهد على الاختلال . وان لم يمنع شيئا من المقدمات . وان أورد دليلا على نقض مدعاه فذلك يسمى معارضة . (١)

ومن موضوعات أدب البحث والمناظرة قضية النقض لأنها من القضايا الكلية . والنقض لغة الكسر . وفي الاصطلاح هو بيان تخلف الحكم المدعى ثبوته أو نفيه عن دليل المعلل الدال عليه في بعض من الصور فان وقع بمنع شيء من مقدمات الدليل على الاجمال يسمى نقضا اجماليا . لأن حاصله يرجع

---

(١) التعريفات ص ١٩٥-١٩٦ .

الى منع شيء من مقدمات الدليل على الاجمال • وان وقع بالمنع المجرد أوقع السند (١) سمى نقضا تفصيليا لأنه منع مقدمة معينة • ومعني النقض — وجود الحكم بلاعلة ونقيض كل شيء • رفع تلك القضية • فاذا قلنا كل انسان حيوان بالضرورة فنقيضها : أنه ليس كذلك •

فعلى هذا يتبين لنا أن المناقضة لغة ابطال أحد القولين بالآخر • واصطلاحا هي منع مقدمة معينة من مقدمات الدليل •

وشرط في المناقضة أن لاتكون المقدمة من الأوليات (٢) • ولا من المسلمات (٣) • ولم يجز منعها • وأما اذا كانت من

---

(١) السند : مايكون المنع مبينا عليه • والمنع اما في نفس الامر أو زعم السائل • وللسند صيغ ثلاثة احداها : أن يقال لانسلم هذا لم لايجوز أن يكون كذا • والثانية : لانسلم لزوم ذلك وانما يلزم أن لو كان كذا • والثالثة : لانسلم هذا كيف يكون هذا والحال أنه كذا • راجع التعريفات ص ١٠٧ •

(٢) الاولى : معرفة يفترضها الذهن وتسبق التجربة ولذلك قال الفارابي : تعرف في الاول أنه واجب الوجود بذاته معرفة أولية من غير اكتساب • راجع المعجم الفلسفي ص ٢٨ •

(٣) المسلمة : قضية ليست بديهية بذاتها ولايستطاع البرهنة عليها ومع ذلك يسلمها • ويمكن ان نستخلص منها نتائج لايرفضها العقل مثل مبدأ الحتمية في العلوم التجريبية •

التجريبيات (١) • والحدسيات (٢) والمتواترات فيجوز منعها لأنه ليس بحجة على الغير وهذه الشروط فى المناقضة لاتكون من الامور الاولية • ولا من الامور التجريبية لانه ما يصلح العلم لايصلح لآخر • لأن لكل علم منهم ما يخصه • ولأن النظريات العلمية دائما فى تغير طبقا لمبدأ التطور •

وكذلك فانه من ضمن موضوعات علم أدب البحث : الابحاث الجزئية • والابحاث الكلية وكل الامور التي سبق ذكرها وسوف نقوم بتوضيحها بتفصيل فى موضعها من هذا البحث ان شاء الله •

---

(١) وهى تعنى فى نظرية المعرفة :

أ — كل معرفة تستمد من الحس أو التجربة ويقابل الفطرى أو العقلى •

ب — فى مناهج البحث كلما يعتمد على الملاحظة أو التجربة المباشرة •ويقابل النظرى أو الاستنباطى •من أتباع هذه التجريبية جون لوك الوضعى •

(٢) الحدسيات : هى ما لايحتاج العقل فى جزم الحكم فيه الى واسطة بتكرار المشاهدة كقولنا : نور القمر مستفاد من الشمس لاختلاف تشكلاته النورية بحسب اختلاف الاضاءة من الشمس قربا وبعدا أو الحدس هو الادراك العقلى المباشر •وهو أشبه بالرؤية المباشرة والالهام •وبه تدرك حقائق التجربة كما تدرك الحقائق العقلية •

الشروط الواجب توافرها في المناظر:

نرى الامام الغزالي يحدد لنا في كتابه احياء علوم الدين في الجزء الاول شروطا يجب توافرها فيمن يدعي أنه يطلب الحق وهي ثمانية :

١- أن لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الاعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو كذاب . وهذا بمعنى أن المناظر لا يشغل نفسه بما هو فرض كفاية من الممكن أن يقوم به البعض المتخصص في الفن أو العلم الذي يتم فيه المناظرة ويترك فرض عين واجب عليه هو " المناظر" .

ثم يضرب لنا مثلا يوضح لنا فيه هذا الشرط فيقول :

" ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي أستر عورة من يصلي عريانا ولا يجد ثيابا " .(١)

والمشتغلون بالمناظرة مهملون لأمور قد تكون فرض عين بالاتفاق ويشتغلون بالكفايات وهذا من المخل بآداب المناظرة وشروطها .

---

(١) احياء علوم الدين للامام الغزالي جـ ١ ص ٤٣

٢ ـ أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة . فان رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله ومثاله مثال من يرى جماعة من العطاشى أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس . وهو قادر على احيائهم بأن يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة (١) . وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس . واذا قيل له في البلد جماعة من الحجامين . وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية . فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاشى من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها .

ولذلك قيل : يارسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ فقال عليه السلام : اذا ظهرت المداهنة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم والفقه في أراذلكم" (٢)

---

(١) وسيلة من وسائل التداوي عند العرب مثل الكي والحجامة هي أخذ الدم من الرأس .

(٢) احياء علوم الدين جـ ١ ص ٤٤

٣- أن يكون المناظر مجتهدا يفتى برأيه لا بمذهب الشافعي وأبى حنيفة وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق من مذهب أبى حنيفة ترك ما يوافق رأى الشافعي وأفتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة رضى الله عنهم وهذا الشرط ظاهر فى كلام الغزالى فيمن يكون متبحرا فى العلوم حتى لا يعتمد على مذهب معين لاستاذه أو شيخه ويعلق مناظراته عليه • فان لم يجد فى مذهب شيخه حلا وقف عاجزا ومكتوف الايدى • كان الغزالى يريد من الداعية الذى يناظر من أجل الحق واحقاقه وابطال الباطل أن يتزود من العلوم والفنون فى شتى المجالات قدر الطاقة الانسانية حتى يصبح من الذين عندهم المقدرة على الجدال والمناظرات ضد خصوم الدين •

٤- أن تكون المناظرة فى الخلوة أحب اليه وأهم من المحافل وبين أظهر الاكابر والسلاطين • فان الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق • ومعنى هذا يريد الغزالى تنقية المناظر من الرياء والسمعة والشهرة حتى يتمكن من المناظرة ويكون هدفها الحق فقط وأن تكون لله •

٥ - أن يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر

الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لاخصما ويشكره اذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق . فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم حتى ان امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته وهو على ملأ من الناس فقال : أصابت امرأة وأخطأ رجل" .

ومن أراد الاستزادة فعليه الرجوع الى الجزء الاول من كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالي .

ونكتفي بهذا القدر كي لا يتسع بنا المقام وكي نستطيع عرض مادة أخرى لطالب الدعوة حتى يتمكن من وضع يده على المادة الخصبة لهذه الدراسة .

" أمور لا يجوز للمناظر ارتكابها "

هناك عدة أمور لا يجوز للمناظر ارتكابها في المناظرة . وقد حصرها علماء هذا الفن في هذه المسميات : المصادرة والغصب المكابرة . المعاندة . الجواب الجدلي وتفصيلها كما يلي :

١ـ المصادرة : هي جعل النتيجة الدليل نفس احدى مقدمتي الدليل مع تغيير في اللفظ . يوهم فيه المستدل التغاير بينهما في المعنى . (١)

ومثالها : هذا أسد . وكل أسد ليث ـ اذن فهذا ليث .
= هذه نقلة وكل نقلة حركة ـ اذن فهذه حركة .

٢ـ الغصب : هو أخذ منصب الغير . ويشمل ما اذا كان أو غيره كما يأخذ منصب المعلل أو السائل أو الناقل . ولا يترك لأي منهما فرصة اقامة الدليل على دعواه .
فاستدلال السائل على فساد دعوى أو مقدمة قبل استدلال المعلل عليها : غصب لأنه أخذ لمنصب الغير .

وعرفها صاحب ضوابط المعرفة بقوله : أخذ المناظر وظيفة

---

(١) كتاب المسامرة للشيخ محمد علي سلامة ص ٥٦ ، ٥٧

الاستدلال على بطلان دعوى الخصم قبل أن يترك له فرصة اقامة الدليل عليها . (١)

فكل ما صح للسائل أن يمنعه (أي يطلب من المعلل اقامة الدليل عليه)

ثم قام السائل بالاستدلال على بطلان دعوى المعلل قبل أن يقيم المعلل استدلاله على دعواه . فهو غصب ممنوع .

أنواع الغصب :

الغصب نوعان : منه ما هو مسموع ومنه ما هو غير مسموع .
والمسموع منه ما هو مقبول مستحسن ومنه غير مستحسن .

(أ) الغصب غير المسموع : هو استدلال السائل على فساد دعوى أو مقدمة معينة قبل الاستدلال عليها من المعلل . لأنه لو جوز للسائل الغصب فيهما لأعرض المعلل عن الاستدلال على المدعي أو المقدمة واستعمل الغصب هو أيضا في مقدمة السائل .

(ب) الغصب المسموع : المستحسن هو النقض والمعارضة . لأن كل منهما غصب . اذ هما استدلال السائل على فساد

---

(١) ضوابط المعرفة للشيخ حبنكة ص ٤٥٩

مقدمة ضمن فساد مجموع الدليل وسيأتى بيانهما فيما بعد بتفصيل .

٣- المكابرة : هى المنازعة لا لاظهار الصواب ولا لالزام الخصم ولكن لاظهار الفضل .

أنواع المكابرة :

من أنواع المكابرة : منع البديهيات وعدم التسليم بها .

- وعدم التسليم بالتصديقات النظرية التى أقام المعلل عليها دليلا صحيحا لايتطرق اليه الخلل بوجه من الوجوه .
- منع الدليل جملة واحدة - أو منع مقدمة غير معينة منه .
- نقض دليل بلا شاهد .

والمكابرة كلها وظيفة مردودة لاتسمع ولا تقبل . والمكابر يحكم على نفسه بالهزيمة فى المناظرة .

٤- المعاندة : هى المنازعة بين شخصين لايفهم أحدهما كلام الاخر وهو يعلم مافى كلام نفسه من الفساد ومجانبة الصواب . وهى فى المناظرة عملا غير جائز .

٥- الجواب الجدلى : هو مايذكره المجيب وهو يعتقد بطلانه سواء أكان باطلا فى الواقع فعلا أم لا .

ويقول المناطقة : ان المراد بالحجة الجدلية افحام الخصم

أو اقنـاع القاصر عن الدليـل (١) .

ونظرا لان الظاهر منه ليس القصد منه اظهار الحـــق والصـواب فهو عملا أيضا لايجوز في المناظرة .

فضـل علم المناظرة :

اذا قيست العلوم بفوائدها من دفع الضـرر وجلب المصالح كان العلم المناظـرة النصـيب الاوفى والاكبر من ذلك . ذلك لما فيـه من نفـع للعلماء وتوفير الجهـد والوقت في الاستدلال والوصـول الى الحقيقـة من أقرب طريق بالاضـافة الى اقنـاع الخصـم بالمقدمـات التي يعرضها عليه . ويمكن اجمال الفوائد التي تؤخـذ من هذا العلم فيما يلي :

١ــ دفع ضـرر الملحدين من أبناء المسلمين .
٢ــ ايصـال كل ذي حق الى حقـه فهو سلاح كل من يجاهـد من أجل احقاق الحق والوصـول به الى أهله .
٣ــ انتفاع رجال السياسة والاجتماع والقضاء والدين لله فـدفـاع عن آرائهـم بالمنهج العلمي الصحيح المبني على قواعـد أساسية .
٤ــ الفصل في المنازعـات والمخاصـمات بين الافراد والشعوب (٢)

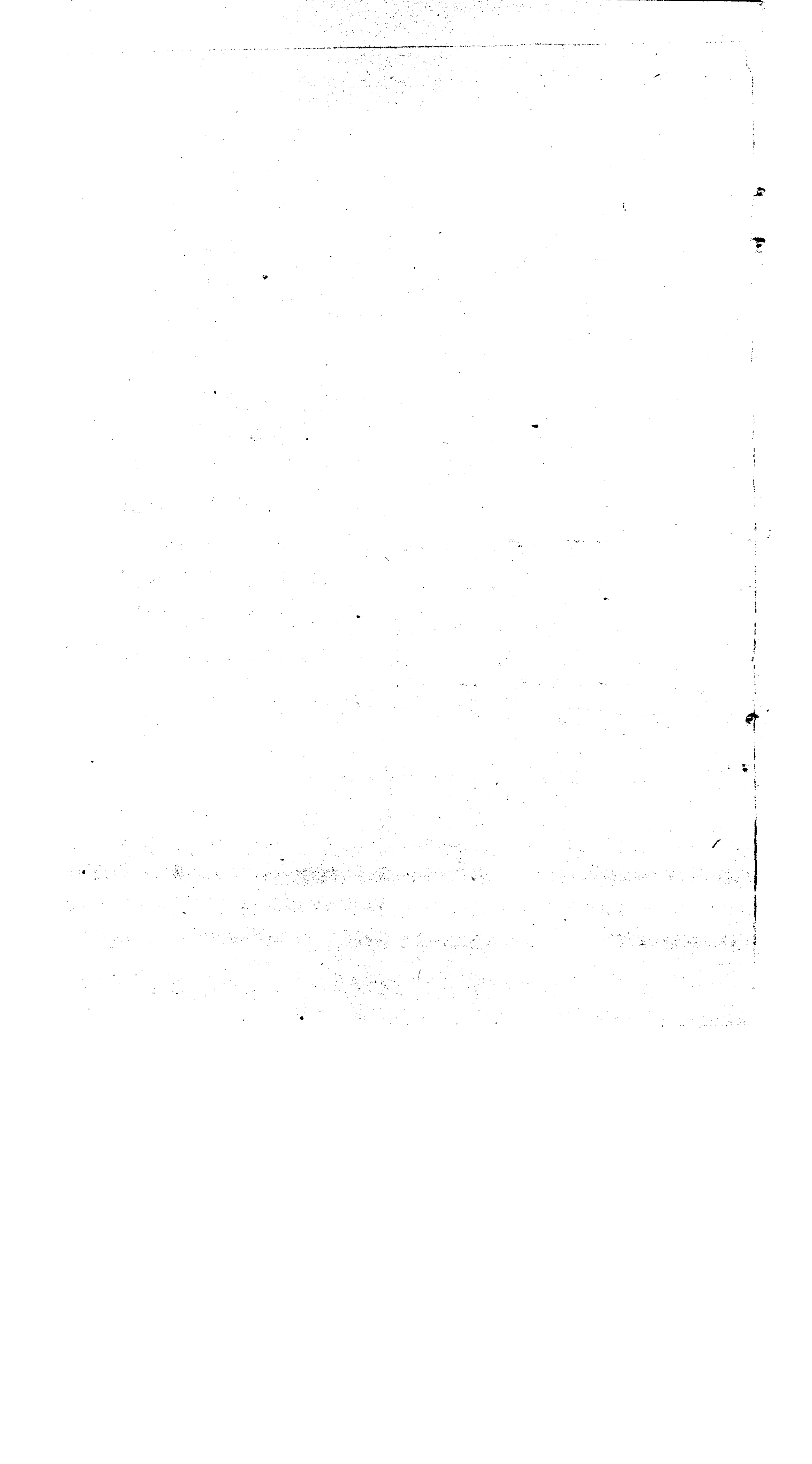
---

(١) انظر : أصول البحث والمناظرة .د /طلعت تمام ص ١٢٩ــ ١٣٠
(٢) نفســه ص ١٤

١ - يعرف به مجادلات الفرق الشاذة والضارة للاسلام
من غيرها ونتمكن به من تحذير الناس من هذه الفئات
الضالة المضلة ·

الفصل الثانى

التعريف بالمحاورة والمناظرة والفرق بينهما



" الفصل الثاني "

(التعريف بالمحاورة والمناظرة والفرق بينهما)

أولا : المحاورة :

اذا رجعنا الى كتب اللغة وجدنا فيها معاني متعددة لمادة " حور " ولكننا نأخذ منها ما يتصل بكلمة المحاورة التي نحن بصدد البحث فيها كي يتضح الفرق بينها وبين مفهوم المناظرة .

فاذا رجعنا الى كلمة الحور نراها : الرجوع عن الشيء والى الشيء ومنه قول بعض السلف (لو عيرت رجلا بالرضع لخشيت أن يحور بي داؤه) أي يعود على مرجعه .

وقد تتداخل الكلمة في معنى المجادلة الى حد أن يقال معها في تلك الحالة ، حاوره محاورة وحوارا جادله . وتحاوروا تجادلوا فالكلمة في صناعة المنطق والكلام والخطاب والفكر تعني المراجعة والتردد والمجاوبة والمجادلة . والاسم من المحاورة الحوير تقول سمعت حويرهما وحوارهما ، والحورة من المحاورة مصدر كالمشورة من المشاورة . (١)

وفي ذلك يقول الدكتور/عبد الله الشاذلي (والحور: التردد

---

(١) لسان العرب لابن منظورجـ١ ص٢٩٥-٢٩٦ مادة (حور) طبعة أولى .

اما بالذات واما بالفكر • ومنه : (انه ظن أن لن يحور) أي يرجع بذاته يوم القيامة مبعوثا من جديد بمعنى لن يبعث •وحار الماء في الغدير تردد فيه • والرّجوع أو التردد بالعين والذات ليس مقصودنا هنا • ولكن هدفنا هو الرجوع والتردد بالفكر والقول • واذا كان الامر كذلك فالمطلوب من معنى المحاورة أو الحوار أو التحاور هو المجاوبة بالرأى والقول حتى يقال: تحاوروا أي تراجعوا الكلام بينهم وتجاوبوا في المنطق والمخاطبة • وكل واحد من المتحاورين يستحير الاخر أي يستنطقه) • (١)

من هنا يتبين أن الحوار هو أسلوب يجرى بين اثنين أو أكثر وكل واحد منهما يسوق من الحديث ما يراه أو يراجع الطرف الاخر في منطقه ويهدف الى بيان الحقائق التي تدور في خلده أو يعتقدها والى تقريرها من وجهة نظره هو • وكل واحد من المشتركين في الحوار يقوم بتوليد الافكار في ذهنه ولا يقتصر على عرض الافكار القديمة • ويعمد الى توضيح المعانى المتولدة عنده وينشط نشاطا ذهنيا متقدا كي لا ينتصر عليه الطرف الاخر • ومن ثم يظل العقل واعيا طوال العملية كلها • واذا كررت أفادت العقل وعملت على

---

(١) مدخل الى الاستدلال القرآني ص ٩ • طبعة أولى • للدكتور عبد الله الشاذلي •

تنشيطه . وربما سعى المحاور الى اصدار الحكم على أمرهـــا بالايجاب والسلب . (١)

ونسوق الحوار القرآني بين الكافر صاحب المال والمؤمن صاحب الحكمة والمعرفة . قال تعالى (فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) (٢)
فرد عليه المؤمن في ادراك ومعرفة ويقين (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا) (٣)

ان حوار الكافر قد انبنى على أمر ظاهر ومتاع دنيوى زائل هو الملكية أو هو العرض- الثمر والجنة – وتصور أن الذى يملك في الدنيا هو الغني وهو الفائز . ولكن حوار المؤمن ورده عليه جاء يرد الامور الى أصولها والابتعاد عن المظاهر والاعراض الى الاستدلال والحقائق . فذكر له أصل الخلقة الترابية . والنطفية وبيان أن مردها في الانسان الى الله . وبالتالي فهو يستحق الايمان لا الكفر . وفي هذا الجواب من المؤمن اهمال تام لاسس المفاضلة

(١) د / عبد الله الشاذلي : مدخل الى الاستدلال القرآني ص٦٠

(٢ ، ٣) سورة الكهف : آية ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨

التي قدمها الكافر واستبدلها بأسس جديدة بغية تصحيح لغـة الحوار وطريقته وهي التي غابت عن الكافر وضل عنها .

يقول الدكتور عبد الله يوسف الشاذلي : " ومن هنا نقول أن أسلوب الحوار قد لا يسلك فيه أي من الاطراف لازم كلام الخصم . ولكنه ينشيء حدودا جديدة ، وطريقة غير تلك التي سلكها الآخرون . وأيضا فان أحد الاطراف يتسم بالنقص الشديد في معرفته . أو يتجـاوز حدود الحق والصـواب في منزعه . وأعتقـد أن المرأة التي اشتكت زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحاور أمامه في شـأن ظهاره منها بعد ما كبرت في سنهـا (١) . وكانت على خلق وعلم ونبـل ومعرفـة استأهلت بها أن يسمع الله حوارهـا وأن يستجيب لشكواها وأن يستمع النبـي صلى الله عليه وسلم لها في حنو وعدالـة ويقضي بينهمـا . وأن يسمع عمر لوعظهـا ونصحها في خلافتـه . (٢)

هذا بالاضافة الى أن الحوار في القرآن الكريم ليس وقفـا على الحوار بين الانسان والانسان ولكن قد يمتد الى بيـن الله والانسـان مثلما حدث من صاحـب القريـة القائل (أنى يحي

---

(١) المجادلة : الاية : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحـاوركمـا) .

(٢) د : عبد الله الشاذلي : مدخل الى الاستدلال القرآنـي ص ٦١ ، ٦٢ .

هذه اللـه بعد موتها فأماتــه الله مائة عـام ثم بعثه • قال كـم لبثـت قال لبثـت يوما أو بعض يوم • قال بل لبثت مائة عـــام)

وأيضا تمه دت طرق الحوار بين الله والملائكـة حول قضـية خلق آدم والسجـود له وجعله خليفة • وكما أن محاورات ابليـس لله مشهورة في هذه الآيـة حيث الامتناع عن السجود • وكـــذ لك الحوار بين ابراهيم عليه الســلام والملائكـة ••• الخ •

ثانيا : المناظرة :

اذا أردنا أن نقف على تعريف لكلمة مناظرة نراها تطلق على عدة معاني :

من بينها : المقابلة والمقابلة لشيء ما : تتم اما بالبصر أو بالفكر أو بهما معا حسب طبيعة الشيء الذى تقابله . وحسب الرغبة الملحة فى المقابلة . فان كنا نريده بالحس كانت المقابلة بالنظر بالبصر . وان كنا نود اظهاره معنويا كانت مقابلتنا له ونظرتنا الى ذلك الشيء بالقلب والفكر . ويلزم أن تكون تلك النظرة شاملة لاحوال ذلك الشيء المنظور الذى يعمل الناظر على ابرازه واظهاره .

ولأن التناظر مبنى على النظر بكل معانيه اللغوية الآتى بيانها :

١- أنها مأخوذة من النظير بمعنى المماثل وفى ذلك ايماء الى أن شرط المناظرة مماثلة الخصمين فى الرفعة والضعة ولو بحسب الاعتقاد .

٢- أنها مأخوذة من النظر بمعنى الابصار وفيه ايماء الى أن من كمال المناظرة رؤية كل من الخصمين الآخر .

٣- أنها مأخوذة من النظر بمعنى الانتظار . وفى ذلك اشارة الى أنه يجب على الخصمين انتظار الاخر حتى يتم كلامه ولا يتكلم أثناء كلامه .

٤ـ أنها مأخوذة من النظر بمعنى الالتفات وفي ذلك دلالة على أنه يجب على كل من المتناظرين التأمل في كلام الاخر فلا يدفعه قبل التأمل فيه .

هـ أنها مأخوذة من النظر بمعنى المقابلة وفي ذلك اشارة الى أن يجلس كل من المتناظرين قبالة الاخر حتى لا يشعر أحدهما بعدم المساواة .

من هنا انتقلت تلك المفاهيم الى مضمون حالة التناظر ، ولزم أن يتصف بها كل طرف ينافح في مناظرته عن شئ معين .

فاذا قلنا : ناظر فلان فلانا كان المعنى باحثه وباراه في المحاجة ولو قيل : تناظر القوم في الامر قصدوا به تجادلوا وتراوضوا . والمناظر تبعا لذلك هو المجادل المحاج . وعملية المناظرة نفسها تعني المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه المناظر ببصيرته . (١)

ومن الجدير بالذكر أن الامام الجويني في كتابه " الكافية في الجدل " حين يعرض للفظ " النظر " من حيث اللغة يثبت له سبعة معان لأنه " اسم مشترك بين معاني شتى فيقال :

" للانتظار : نظر، وللرحمة والتعاطف نظر ... الخ " .

---

(١) المعجم الوجيز حـ ٢ ص ٩٣٢ .

والمقصود باللفظ كما ورد في كتابه" والمراد بالنظر ههنا فكر القلب وتأمله في حال المنظور ، ليعرف حكمه جمعا ، أو فرقا ، أو تقسيما ، وهذا تعريف له أهمية اذ أنه يبين أن النظر يرتبط بحال المنظور أي بواقعه ، فهو اذا : نظر ليس على مستوى التخيل أو التعقل المحض ولكن على مستوى الواقع .

ويذكر الامام الجويني عدة مترادفات للنظر فيقول " التأمل والتفكر ، والتدبر والاعتبار والاستدلال " يقول كل واحد من هذا يصلح أن يكون حدا لما نعنيه بالنظر هاهنا " . (١)

ويحرص الامام دائما على أن كل فكر ، نظر ويرفض أن يكون الفكر جنسا غير التدبر والاستدلال ، ويراجع الامام أبا اسحق في قوله بالتفرقة بين الفكر والنظر على اعتبار أن الفكر جنس من قبيل الكلام في النفس والنظر من باب ترتيب بعض العلوم على بعض لتحصيل علم ما لم يعلمه" .

ثم ينتقل بنا الامام من النظر الى نوع آخر وخاص هو مفاعلة من النظر " وهو المناظرة " وهو نوع من النظر لكنه لا يتم الا بين اثنين ولابد من أن تكون بين اثنين لأنها مفاعلة ، (٢)

---

(١) الامام الجويني : الكافية في الجدل ص ٤٢ ، ٤٣

(٢) السابق ص ٤٣ ، ٤٤

ومن المعانى التى تطلق عليها المناظرة بعد المقابلة ، المواجهة والمشاهدة والمكافأة تقول ناظرت فلانا فى مسألة كذا يعنى اذا قابلته وشاهدته ووقع الحوار بينكما ويبقى الاصل فيها : النظر بالبصيرة من الخصمين فى النسبة بين الشيئين لاظهار الحق والوصول الى الصواب .

والمناظرة وان اتفقت مع المحاورة فى كونها نقاشا بين أطراف حول فكرة معينة الا أنها تختلف عن الحوار من حيث أنها تقوم على الفكر والسعة فى المعرفة . وعلى المباحثة والمباراة . ومن ثم يسبقها نظر عقلى تأمل وشامل للشيء المتناظر فيه . وتظهر عند الحديث عن المناظرة ألفاظ المحاجة . واستحضار ماتجمع فى عقولنا وعاثرنا من معارف سابقة . ولم تقم المحاورة على تأمل سابق . وانما قامت على مجرد الترديد والمراجعة ولم تظهر فيها عبارات التباحث والتحاج . ولم ينص فى تعريفها على الحجة القياسية أو ما هو أعم منها كما نص فى المناظرة . ولا ينقص من قيمة المناظرة ويرفع من شأن المحاورة كون الثانية ذكرت فى القرآن بلفظها ومضمونها والاولى لم تذكر . لأن القرآن قد اكتفى بالحديث المستفيض عن النظر الذى هو أصل فى المناظرة . ذكر الأصل والتوسع فيه يغنى عن الفرع . (١)

(١) د /عبد الله الشاذلى : مدخل الى الاستدلال القرآنى ص ٦٦

صـور المناظـرة :

وعلى هذا فللمناظـرة صـورتان (أحدهما) اذا قصد كل منهما أظهار الصـواب. (الثانية) ما اذا قصد احدهما فقط ذلك فدخل في التعريف صـورة ما اذا كان كل منهما يريد تغليط صاحبه ولكـنه يظهر أنه يقصـد اظهار الصـواب ولم تدل قرينة على ارادته التغليط أما لو دلـت القرينة على ذلك فمنازعتهمـا ليست مناظرة وهذا التعريف مشتمـل على العلة الصـورية وهى التوجيـه . والعلة المادية وهى النسـبة والعلة الفاعلية وهما المتخاصـمان . والعلة الغائية وهى اظهـار الصـواب . (١)

أركان المناظرة :

للمناظرة ركنان أساسيان هما :

الركن الاول : موضوع تجرى حوله المناظرة .

الركن الثانى : فريقان يتحـاوران حول موضوع المناظرة أحدهما : مدع والاخر معترض عليه .

فان كان الموضوع تعريفـا أو تقسيما سمى المعترض عليه (مستدلا) وسمى صاحب التعريف أو التقسيم (مانعا) .

---

(١) راجع : آداب المسامرة فى البحث والمناظرة . للشيخ على سلامة طبعة القاهرة .

وان كان الموضـــوع(تصديقا) — أى قضية منطقية سواء— أكانت مصرحا بها أو مفهومـــة من ضمن الكلام — فالمعترض عليه يسمـــى (سائلا) وصاحب التصـــديق ومقدمه يسمى (معللا)

ويكون (المعلل فى الاصل هو البادئ بالكلام • ثم يوجـــه (السائل) عليه اعتراضـــه • وقد ينعكس الامر ضمن المناظرة • وذلك اذ يتحول (السائل) الى مقـــدم لتصديق جديد • فيكون حينئـــذ (معللا) ويكون مقابلـــه الـــذى يعترض عليه (سائلا) وهكـــذا كلما تحول السائل الى مقدم تصـــديق جـــديد •

شـــروط المناظرة :

ويشترط فى المناظرة أربعة شروط :

الشرط الاول : أن يكون المتناظران على معرفة بما يحتاج اليه مـــن قوانين المناظرة وقواعدها • حول الموضوع الذى يريدان فيه المناظرة •

الشرط الثانى : ان يكون المتناظـــران على معرفة الموضوع الـــذى يتنازعـــان فيه • حتى يتكلم كل منهما ضمن الوظيفـــة المأذون لـــه بها فى قواعد المناظـــرة وضوابطهـــا • فاذا تكلم لم يخبط خبـــط عشـــواء • ولم يناقش فى البديهيـــات بغير علم • واذا ألزم بالحـــق التزم بـــه دون مكابرة •

الشرط الثالث : أن يكون للموضوع مما يجوز أن تجرى فيه المناظرة ضمن قواعد هذا الفن وضوابطه . فالمفردات والبديهيات الجلية لاتجرى فيها المناظرة أصلا .

الشرط الرابع : أن يجرى المتناظران كناظرتهما على عرف واحد فاذا كان كلام (المعلل) (١) جاريا مثلا على عرف الفقهاء . فليس (السائل) (٢) الطرف بذلك . أن يعترض عليه استنادا الى عرف النحاة أو الوضع اللغوى أو عرف الفلاسفة أو نحو ذلك .

آداب المتناظرين لدى علماء فن آداب البحث والمناظرة :

وأهم ما ينبغى على المناظر سواء كان سائلا أو معللا أن يحترز عن الايجاز وعن الاطناب . وعن الالفاظ القريبة . وعن المجمل . وعن الدخول فى كلام الخصم قبل الفهم . وعن التعرض لمالادخل له فى المقصود . وعن الضحك ورفع الصوت وأمثالها . وعن المناظرة مع أهل النهابة والاحترام . أو أن يحسب

---

(١) المعلل هو الذى ينصب نفسه لاثبات الحكم بالدليل .

(٢) السائل هو الذى ينصب نفسه لنفى الحكم الذى ادعاه المعلل بلا نصب دليل .

الخصم حقيرا وما يخالف هذه الاداب يكون عادة من صفات المنقطع . (١)

هذه بالاضافة الى الاداب التى اصطلح عليها علماء فن أدب البحث والمناظرة والتى ألزموا المتناظرين بها . حفاظا على سلامة المناظرة أهمها :

١- أن لايظن خصمه أقوى منه بكثير حتى لايتخاذل ويضعف عن تقديم حجته على الوجه المطلوب .

٢- ألا يكون فى حالة قلق نفس واضطراب . أو فى حاجة تفسد عليه مزاجه الفكرى والنفسى . كأن يكون جائعا .أو ظامئا .. أو نحو ذلك .

٣- ألا يكون المناظر متسرعا يقصد اسكات خصمه فى زمن يسير لأن ذلك يفسد عليه رويته الفكرية ويبعده عن منهج المنطق السديد .

٤- أن يقصد كل من المتناظرين المساهمة فى اظهار الحق ولو على يد خصمه .

٥- أن يجتنب كل منهما الهزء والسخرية . وكل ما يشعر باحتقار المناظر وازدرائه لصاحبه . أو وصمه بالجهل أو قلة الفهم .

---

(١) طاش كبرى زادة — رسالة فى علم البحث والمناظرة ص ٣١ تحقيق عبد الرحمن بن عقيل نقلا من مدخل الى الاستدلال القرآنى ص ٦٨ .

٦ـ ألا يتعرض أحدهما لكلام خصمه قبل أن يفهم مراده ، وأن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه ولا يقطع عليه كلامه حتى يتمه .. الى آخر هذه الشروط التي يكاد قد استوفاها النص السابق في هذا الحديث .

مراحل المناظرة ونتيجتها :

(أ) تنقسم كل مناظرة سليمة الى ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى : مرحلة المبادئ وفي هذه المرحلة يتم تعيين محل النزاع حتى لا يتشتت الفريقان في أطراف غير متطابقة وحتى لا يتكلم كل منهما في واد غير الوادي الذي يتكلم فيه مناظره .

المرحلة الثانية : مرحلة الاواسط . وفي هذه المرحلة تقدم الدلائل التي يظهر فيها لزوم المطلوب .

المرحلة الثالثة : مرحلة المقاطع . وهي مرحلة اذا انتهى البحث اليها انقطع . وهو ينقطع اذا انتهى الى الضروري (وهو اليقيني الذي يجب التسليم به بالضرورة العقلية أو اذا انتهى الى الظني الذي يسلم به الخصم .

(ب) نتيجة المناظرة :

اذا عجز (المعلل) عن رد اعتراض (السائل) كان المعلل (مفحما) ، واذا عجز (السائل) عن تصحيح اعتراضه كان (ملزما) (١)

(١) راجع : الشيخ حبنكة : ضوابط المعرفة ص ٣٨٦

الفصل الثالث

الفرق بين المحاورة والمجادلة

" الفصل الثالث "

" الفرق بين المحاورة والمجادلة "

يتمسك علماء اللغة بوضع الفروق الدقيقة بين المحاورة والمجادلة في المدلول .

فأما المحاورة فهي عندهم مراجعة الكلام . يقال حاورته أي راجعته الكلام . وتحاور القوم أو الجماعة راجعوا الكلام بينهم . فمادة المحاورة تدور حول الرجوع وقد سبق الحديث عن تفصيل مادة حور وما يدور حولها .

وأما المجادلة فهي كما يفسرها اللغويون اللدد في الخصومة وما يكون في نحو من ذلك . ولكنها في كل صورها تدور حول التخاصم بالكلام .

والوضع اللغوي يبين أن الكلمة تدور حول معان ثلاثة :
المعنى الاول : القوة والغلبة والصلابة . يقال جده له وجده له أحكم فتله . والجدل الشديد في كل عضو أو عظم مثل الساق . والحيوان اذا قوى واشتد قيل له جدل . قوله الظبية اذا تبع أمه وقدر على المشي يقال له ذلك ..

واذا نقلنا هذه المعاني الموجودة في المحسوسات الى

معنى الجدل الفكري ، واللجاج الذهني وجهناها تنطبق ،
لأن كل واحد من الخصمين المتجادلين يحاول بقوته أن يجدل
الآخر ويفتله عن رأيه ، أو يحاول أن يصرعه ويسقطه على
الجدالة وهي الارض الصلبة والشديدة ، ولا تتم عمليات الفتل
عن الرأي أو الصرع والحاق الهزيمة بالخصم الا مع القوة
والفتل والغلبة والصلابة فيقال جدله وجده له فانجدل وتجدل
صرعه ، أو جدل جدلا فهو جدل صلب .

المعنى الثاني :

ايقاع شيء في شيء :كالاخضرار في العود ، أو الحبة في
السنبلة ، يقال مجادل اذا اخضر البلح واستدار قبل أن يشتد ،
وجدل الحب في السنبل وقع .

المعنى الثالث :

اللدد في الخصومة مع القدرة عليها ، ومنه الجدل محركة
يقال جادله فهو جدل ومجدل ومجدال كمنبر ومحراب . (١)

ومن هنا نرى أن حديث اللغويين فيه فارق واضح بعض

---

(١) انظر : لسان العرب ح ١١ ص ١٠٥ ، القاموس المحيط
ح ٣ ص ٣٤٦ — ٣٤٧ .

الوضوح في مدلول لفظ الجدل والجدال والمجادلة (بتحريك الدال) كل ذلك ينحو منحى الخصومة ، بمعنى أن استعمال هذه المادة يكاد يلزم الخصومة في أي صورة من صورها ، ولو بمعنى التمسك بالرأي والتعصب له .

ولا شك أن النقاش على هذا النحو من الضيق النفسي والاصرار على الانتصار وعدم الرغبة في التسليم أيا كان قرب الطرف الثاني من الحق سوف يكون معركة تضيع فيها الحقائق وتلتبس الامور ، ومن هنا لا نعجب بعد هذا ذم القرآن الكريم لهؤلاء المتبعين لطريقة الجدل ، وان أباحها فبشروط مؤكدة على طرح الامور التي فيها سفسطة تتضيع الحقائق وتتشوه الأمور .

وأما المحاورة فهي مجرد مراجعة الكلام بين المتكلمين . ولا تلزم فيه صورة الخصومة ، وانما تغلب ليها صورة الكلام المتبادل بين طرفين ، في أسلوب لا تقصد به الخصومة .

وهذه التفرقة بين المدلولين انما استقاها اللغويون بطبيعة الحال من تتبع الاستعمال العربي . واذا ذهبنا الى القرآن الكريم في استعماله للفظين نجد فيه هذه التفرقة . حيث يغلب استعمال القرآن الكريم للجدال في الموضع غير المرضى عنه ، أو غير المجدى كقوله تعالى :

(وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق) (١) .

وقوله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) (٢)

وكذلك استعمالها فيما ينبىء عن عدم الرضا أو عدم الجدوى حتى في الحديث عن الانبياء . كقوله تعالى (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) (٣)

وقوله تعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط) (٤)

ولذلك نهى القرآن الكريم عن الجدال في الحج وقد وردت مادة الجدال في نحو تسعة وعشرين موضعا في القرآن الكريم . يغلب عليها جميعا أن تكون اما سياق عدم الرضا عن الجدال . واما عدم جدواه . وكذلك علماء اللغة يفسرونه بما يدخل في هذا المحيط نتيجة تتبعهم في استعماله سواء في القرآن . أو في التعبير العربي عامة .

وأما المحاورة فقد وردت مادتها في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع . اثنان منهما في موضع يهدد وفي ظاهره التخاصم الشديد .

---

(١) سورة غافر آية : ٥ (٢) سورة الحج آية : ٨

(٣) سورة النساء آية : ١٠٧ ومعنى يختانون أنفسهم أى : يخونونها بالمعصية .

في قصة الاخوين صاحبي الجنتين . حيث كان أحدهما مؤمنا سخيا والاخر كافرا شحيحا . فكان من قول الكافر مارواه القرآن الكريم (فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) وينقل القرآن عن الاخر (قال له صاحبه وهو يحاوره (أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) ومع أنها خصومة جوهرية بينهما الا أنها من الناحية الاجتماعية . أعني في الظاهر الواضح أمام الناس لاتمثل خصومة . وانما تمثل اختلافا بين الاخوين في الدين والمنهج . ولعل هذا مما جعل تعبير القرآن الكريم عن موقفهما يأتي بلفظ التحاور المنبئ عن مجرد المراجعة في الكلام . ولا يأتي بلفظ الجدال الذى يرتبط بالخصومة . أو اللدد في الخصومة كما يقول اللغويون . (١)

والموضع الثالث الذى ورد فيه التحاور في القرآن الكريم يتضمن سياقة التفرقة بين المجادلة والمحاورة في مدلوليهما اللذين تحدث عنهما ذلك في قوله تعالى . في قصة المرأة التي جاءت تخاصم زوجها وتشتكيه (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما) (٢)

---

(١) راجع أسلوب المحاورة في القرآن الكريم د /عبد الحليم حفني ص١١ ١٢٠ . (٢) الآيتان : من سورة الكهف ٣٤، ٣٧

فحديث المرأة عن زوجها كان خصومة • ولذلك كان التعبير حينئذ بالمجادلة • ولكن حديثها مع النبي صلى الله عليه وسلم كان مراجعة في الكلام • ولذلك كان تعبيره بالمحاورة •

الفرق بين الجدل والاستدلال :

هناك بعض الناس من يرفع مستوى الجدل الى درجة أن يجعله في صورة البرهان والاستدلال ويحاولون اطلاق لفظة الجدل على أنواع الحجج الموجودة في القرآن كلها وهذا ما فعله الدكتور زاهر الالمعي الذى اعتبر جدل القرآن عبارة عن براهينه وأدلته التي اشتمل عليها • فيعممون لفظة الجدل على كل ما هو قياس تمثيل أو برهان هؤلاء جميعا قد يجاوزوا حدود الدلالة اللفظية لكلمة جدل التي تدل على المنازعة واللدد بين طرفين أو أكثر ومحاولة الغلبة •وعملية البرهنة تختلف عنها من وجوه :

الاولى : ان المجادلة بين أطراف محققة أو متوهمة • والدليل أو الحجة تساق لطرف غير معلوم • واعتبر الفخر الرازى تلك النقطة فاصلة بين الجدل والاستدلال مؤكدا على أن الاول لايطلق أساسا الا اذا كان الصراع دائر بين الاشخاص • بخلاف الثاني فانه يساق دون اعتبار

لاطراف آخرين . ولكن يقصد اثبات أمر يتعلق بأصل أو فرع أو قضية . وقد لا يخطر في ذهن المستدل خصوما على أى نحو من الأنحاء .

الثاني : أن أغلب مواقف الجدل في القرآن قد ذمت بخلاف البرهنة فانها محمودة على طول الخط ما لم تكن دفاعا عن باطل . فلا تذم لذاتها وانما باعتبار الاصل أو الشبهة التي سيقت لها .

الثالث : ان القرآن الكريم قد ساق أدلة كثيرة وسماها بالحجة أو السلطان أو البرهان . ولم يطلق على واحدة منها لفظة الجدل .

الرابع : ان المسلمين قد توقفوا مدة كبيرة جدا أمام ظاهرة الجدل ومازال كثير من رجال السلف يذم تلك الطريقة ولم يكن ولن يكون الأمر كذلك بالنسبة للاستدلال . (١)

هذه الوجوه تكشف عن مدى الفوارق بين الجدل والاستدلال . اذا كان الجدل مقبولا فيكون بقواعده معينة وشروط خاصة . وأما البرهنة فهي محمودة غالبا على طول الخط .

---

(١) د / عبد الله يوسف الشاذلي : مدخل الى الاستدلال القرآني ص ٨٤ ، ٨٥ .

الجدل كما هو في القرآن الكريم:

لو تأملنا معاني الجدل في القرآن الكريم نراه قد بناها على اعتبار الاصل اللغوي الذي يعني القوة والغلبة • واللدد في الخصومة • ومحاولة اسقاط الرأي على الاخر والزامه به •

ولما كان الجدال في الواقع الانساني من الوسائل التي تستخدم لنشر الافكار والاقناع بها • وكان الانسان أكثر شيء جدلا (١) والجدال سلاحه للدفاع عن أفكاره • فقد أمر الاسلام به للدفاع عن الحق الاسلامي مشروطا بأن يكون بالتي هي أحسن • كما أمر بالقتال لصد عدوان الكافرين • فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وجادلهم بالتي هي أحسن) (٢) وخاطب الله تعالى المؤمنين بقوله (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) (٣)

وهذا يعني أن مسلك المخالفين للاسلام لو كان غير مرضي عنه وطريقته غير مهذبة • ينبغي على المسلمين أن يتقيدوا بكل قول يجادلوا فيه المخالفين على أحسن ما يكون القول من الجدال • أدبا وتهذيبا • أو قولا وفكرا • لأن في ذلك الزاما

---

(١) سورة الكهف آية : ٥٤ (٢) سورة النحل آية : ١٢٥
(٢) سورة العنكبوت آية : ٤٦

للحق ، وهذا ما تكشفه لنا جدليات " نبي الله عليه السلام " مع قومه ، حيث ضاقوا به ذرعا فقالوا له (يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) (قال انما يأتيكم الله ان شاء وما أنتم بمعجزين) (١)

هذا هو الجدال في القرآن الكريم يكون للوقوف على الحق ولاقناع الناس به ، ويصبح عملا محمودا ، وقد يكون واجبا كالقتال في سبيل الله ، أما الجدال الذي يكون انتصارا للنفس ، وفيه رغبة للاستعلاء والغلبة فهو عمل مذموم ، وقد يكون حراما اذا كان فيه طمس للحق أو تضليل للمناظر . (٢)

ويقول الجويني في ذلك (ثم من الجدل ما يكون محمودا مرضيا ومنه ما يكون مذموما محرما ، فالمذموم منه ما يكون لدفع الحق ، أو تحقيق العناد ، أو ليلبس الحق بالباطل .. أو للممارأة وطلب الحياة والتقدم الى غير ذلك من الوجوه المنهى عنها ، وهى التي نص الله عز وجل في كتابه على تحريمها فقال (ماضربوه لك الا جدلا ، بل هم قوم خصمون) وقوله (وكان الانسان أكثر شيء جدلا) وفي مثله قال عليه السلام " دع المراء وان كنت محقا)

---

(١) سورة هود آية : ٣٢ ، ٣٣

(٢) ضوابط المعرفة ص ٣٧٢ — ٣٧٣ .

وأما الجدال المحمود المدعو اليه ، فهو الذى يحقق الحق ويكشف عن الباطل ويهدف الى الرشد ، مع من يرجى رجوعـــه عن الباطل الى الحـق .

وفيه قال سبحانه (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنـة وجادلهم بالتى هى أحسن) (١)

علاقـة الجدل ببعض المصطلحات :

ذكرنا فيما سبق وبينا أن الجدل غير الاستدلال ، ولكـــن المجادل قد لا يستغنى فى كثير من مواقفـه عن أن يرجع الى البرهنة ويسوق من الادلـة مايراه مناسبا لموقفـه ، وتتكـون المجادلـة من مخاصمـة واستدلال .

وهنالك من الالفاظ مايختلف حينا مع المجادلة مثل المناظرة : فهى كما سبق : توجه المتخاصميـن فى النسبة بين الشيئيـــن اظهارا للصـواب ، وهذا غير الجدل الذى يهدف الى الـــزام الخصم والتغلب عليه بأى شكـل ، وهو غير المكابرة لأنها تعنـى : المنازعـة والالزام لمجرد الرد ، وكابر فلان فلانـا على حقه جاحده ، وكابر فى الخير أو الحق عاند فيه ، فهى لاتعنى سوى اجتيـــاز

---

(١) الكافية فى الجـدل ص ٢٢ ، ٢٣ .

المجلس والشهرة أو مطلق اللجاجة أو غير ذلك من الأغراض التي لاتغني في الحق فتيلا . (١)

والجدل غير المماراة ، ذلك لان التماري أشد في الخصومة عن الجدل والجدل قد يقع مع الجهل بالشيء ، أو عدم الفهم للمسألة المثارة ، ويقول الدكتور/ عبد الله الشاذلي : وتظل تقول بجادل ، حتى تتضح الحقيقة ، وتتكشف أمام المعقول فان تمادى المجادل بعد ذلك في الخصومة والمنازعة قلنا انه انتقل من المجادلة الى المماراة ، ومنه قوله تعالى (هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون) (٢) وقوله (أفتمارونه على ما يرى (٣)) أي تجادلون وأنتم شاكون في أن الله اله واحد ، وأنه قد أرى الرسول صلى الله عليه وسلم من آياته ما أراه في رحلة الاسراء والمعراج .

واذا صح الخلاف والتباين بين كلمة " جدل " وبقية المصطلحات حسبما ورد منذ قليل ، فاننا نرى أحيانا أنه يمكن

---

(١) تاريخ الجدل لأبي زهرة ص ٥

(٢) د /عبد الله الشاذلي : مدخل الى الاسئلة لال القرآني ص ٨٧ والاية من سورة الانعام : ٢

(٣) سورة النجم آية : ١٢

أن تكون لفظة الجدل هي الجامعة التي تحوي في مفهومها بقية الالفاظ للمصطلحات . لذلك لانجد لفظة من ألفاظ المكابرة أو المناظرة أو المماراة الا ذكرت كلمة الجدل بين معانيها ونجد ذلك واضحا بين معاجم اللغة العربية . ومن خلال تأويل المفسرين لألفاظ المماراة ...

وعلى سبيل المثال نرى ابن عباس قد فسر قوله تعالى (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) (١) قال الجدال المراء . وفي رواية (ولاجدال في الحج أى تماري صاحبك حتى تغضبه) وروى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس أيضا أنه تمارى هو والحر بن حصن الفزاوي في صاحب موسى أو فتاه قال ابن عباس هو خضر فمر بهما بن كعب فدعاه ابن عباس قائلا : اني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل الى لُقيه ثم قال هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (بينما موسى في ملأ من بني اسرائيل اذ جاءه رجل فقال : هل تعلم أحدا أعلم منك ؟ قال موسى : لا . فأوحى الله الى موسى بل عبدنا خضر . فسأل موسى السبيل اليه

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٧ .

فجعل الله له الحوت آية • وقيل له اذا فقدت الحوت فارجع فانك ستلقاه) الى آخر الحديث • رواه البخاري •

قال ابن حجر (تمارى أى تجادل) والمكابرة تحوى جدلا وكذا المناظرة • وهكذا تتداخل الألفاظ وتتحد فى بعض المواقف •

وهذا التداخل أحيانا جعل الشيخ محمد أبو زهرة يحكم بأن المناقشة الواحدة قد تشتمل على كل هذه الأنواع (وقد يبتدئ المتناقشان متناظرين طالبين للحق فينقدح فى ذهن أحدهما رأى يثبت عليه • ويأخذ فى جذب خصمه اليه ... وحينئذ تنقلب المناظرة جدلا) وربما تعصب لرأيه وتأخذه العزة • ولا يقبل من خصمه أية حجة مهما كانت • ويستمر فى لجاجته (فينتقل الجدل الى مكابرة) وقد تشتمل المناقشة على جدل ومناظرة معا • (١)

واللفظة الاوسع معنى هى لفظة الجدل • ولما كانت كذلك فلا نعجب اذ استخدمت فى القرآن بصورة أوسع من غيرها •

---

(١) مدخل الى الاستدلال القرآني د / عبد الله الشاذلي ص٨٨

أنواع الجدل:

الجدل ينقسم الى محمود وهو جدل في تقرير الحق وهو مهمة الانبياء في الدفاع عن العقيدة . وجدل مذموم وهو الذي يختص في تقرير الباطل وأشار اليه الحق سبحانه في قوله : (ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد) وقوله (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق) (١)

ووضع الالوسي قاعدة نحوية تميز الايات التي ورد فيها المدح عن الاخرى التي جاء في سياقها الذم فقال (ان المجادلة التي تتعدى اللفظة الى ما بعدها بفي تكون مذمومة وتقتضي أن يكون الشيء مشكوكا فيه عنه طرف دون طرف . أو يكون منكرا له يهم أو لدى أحدهما . واذا ما تعدت بعن فيكون الجدل فيها محمودا . ويرد لايضاح الملتبس . أوحل المشكل ويستخدمه أهل العلم في استنباط المعاني والذب عن شيء ما . أورده أهل الزيغ عن زيغهم وهو من أعظم أنواع الجهاد . (٢)

والجدل المحمود في القرآن الكريم جاء في قيد المفاضلة

---

(١) مدخل الى الاستدلال القرآني ص ٩ .

(٢) روح المعاني جـ ٢٤ ص ٤٣ نقلا من المرجع السابق ص ٩ .

وجاءت بصيغة واحدة وهي صيغة التفضيل . قال تعالى :
(وجادلهم بالتي هي أحسن) أي أرقى وأفضل طريقة يجادل بها
وجاء القرآن الكريم بهذه الصيغة لما يحويه من شدة في اللدد
والخصومة . ومن تعنت وتعصب فلكي يقاوم القرآن هذا
الميل العارم نحو الهوى أتى في الجهة المقابلة بصيغة تفيد
الدقة في الحسن والاحسن حتى تؤثر على نفس المخاطب
أو الخصم . وحتى ينتبه المجادل المسلم جيدا لما ينبغي أن
يكون عليه فكرا ونفسا ولفظا .
وهذا على وجه الخصوص يلزم اذا كان الجدل في مسائل
العقيدة سواء كانت أصولية كاثبات التوحيد والنبوة أو فرعية
على غرار جدل الفقهاء لاستنباط الاحكام .

وبالاضافة الى وضوح المسائل يلزم تنوع الادلة في ظروف
تكاد تكون المجادلات حادة وذلك لوعورة المسائل وصعوبتها
ومثال لهذا ما حدث لنوح عليه السلام في مجادلة قومه حرصا
عليهم وعلى هدايتهم . الا أنهم لضيق عقولهم وصدورهم بالحق
استكثروا ذلك . وعبروا عن قولهم هذا القرآن الكريم حيث صور
هذا الموقف في قوله (يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا)
يقول الامام الالوسي في تفسير ذلك (يا نوح : شرعت في جدالنا
فأطلته . أو أتيت بنوع من أنواع الجدال فأعقبته بأنواع أخر) .

من هنا يتحتم على المجادل في محاولة الدفاع عن قضايا العقيدة أن تتوفر لديه قدرة فائقة على عرض أفكاره وينوع في أدلته قدر الاستطاعة ولا يسأم هذا لأنه في نصرة الحق وادحاض الباطل • والحقيقة أن الحق قوي والباطل وأهله كلاهما ضعيف ضعيف •

وعلى المجادل أيضا أن يتصف بحسن الخلق •وأن يكون ناصحا أمينا •ولا يتعالى على خصومه • أو يستخف بهم أو يجرح شعورهم في أفكارهم •

وهناك قواعد عامة للجدل يجب الحفاظ عليها •نذكر منها :

قواعد عامة للجدل :

١ — عدم التعصب : وهذا يعني تخلي كل من الفريقين المتصديين للمحاورة الجدلية حول موضوع معين • عن التعصب لوجهة نظر سابقة • واعلانهما الاستعداد التام للكشف عن الحقيقة • والاخذ بها عند ظهورها • سواء أكانت هي وجهة نظر سابقة • أو وجهة نظر من يحاوره في المناظرة • وقد أرشدنا القرآن الكريم الى الاخذ بهذه القاعدة • اذ علم الرسول صلوات الله عليه في القرآن أن يقول للمشركين في مناظراته لهم : (وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) وفي هذا غاية التخلي

عن التعصب لأمر سابق • وكمال اعلان الرغبة ينشد ان الحقيقة أنى كانت • ولما كان موضوع المناظرة الذى وردت هذه الآية فى صدد توحيد الخالق أو الاشراك به وهما أمران على طرفى نقيض • لا لقاء بينهما بحال من الاحوال • وهما يدوران حول أصل عظيم من أصول العقيدة الدينية • كان من الامور البديهية أن الهداية فى أحدهما انذ هو الحق • وأن الضلال المبين فى الاخر اذ هو الباطل • ومن أجل ذلك كانت عبارة اعلان التخلى عن التعصب لأمر سابق تتضمن الاعتراف بهذه الحقيقة • (١)

القاعدة الثانية :

عدم السخرية والاحتقار وهذا يعنى تقيد كل من الفريقين المتحاورين بالقول المهذب • البعيد عن كل طعن أو تجريح • أو هزء أو سخرية • أو احتقار لوجهة النظر التى يدعيها أو يدافع عنها من يحاوره • وقد أرشدنا القرآن الكريم الى التقيد بهذه القاعدة فى كثير من نصوصه منها (وجادلهم بالتى هى أحسن) (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن) •• الى آخر الآيات التى وردت فى هذا الشأن •

---

(١) راجع : نقض المنطق لابن تيمية • تحقيق الشيخ محمد عبد الرازق ص ١٥٢ الطبعة الأولى •

ولذلك كان من أخلاق المسلم وآدابه أنه لا يسلك مسالك السب والشتم والطعن واللعن ، والهمز واللمز ، لا مع خصومه سواء كان في الدين أم في غيره ولا مع اخوانه المؤمنين ؛ ذلك تنفيذا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " ليس المؤمن بالطعان ، ولا باللعان ، ولا الفاحش ولا البذيء " .(١)

القاعدة الثالثة :

التزام الطرق المنطقية السليمة لدى المناظرة والحوار .

ويدل على هذه القاعدة عموم الامر بأن يكون الجدال الا بالتي هي أحسن . ومن التزام الطرق المنطقية السليمة ما يلي :

١ـ تقديم الادلة المثبتة أو المرجحة للامور المدعاة .

٢ـ صحة النقل للامور المنقولة المروية . (٢)

ومن ذلك أخذ علماء فن آداب البحث والمناظرة قاعدتهم المشهورة التي يقولون فيها : ان كنت ناقلا فالصحة ، أو مدعيا فالدليل .

ونجد الارشاد الى ذلك في نصوص كثيرة من القرآن الكريم منها : قوله تعالى (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ؟) وقوله (ومن

---

(١) رواه الترمذي والبيهقي في (شعب الايمان)

(٢) نقض المنطق لابن تيمية ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، وانظر : الكافية في الجدل للجويني ص ٥٨

يرزقكم من السماء والارض) ـ أأله مع الله ؟ قل هاتوابرهانكم ان كنتم صادقين) ٠

وقوله تعالى (قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معى ذكر من قبلى بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون)

في هذه النصوص يأمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يطالب المشركين بتقديم برهانهم على مايدعون ان كانوا على يقين من الامور التى يعتقدونها ٠ قال تعالى فى سورة البقرة (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) (١)

القاعدة الرابعة :

ألا يكون المناظر ملتزما فى أى أمر من أموره بضد الدعوى التى يحاول أن يثبتها ٠ فاذا كان ملتزما بشىء من ذلك كان حاكما على نفسه بأن دعواه مرفوضة من وجهة نظره ٠ (٢)

ومن الامثلة على سقوط دعوى المناظر بسبب التزامه لضد دعواه ٠ وقبوله له : استدلال بعض من أنكر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بأنه بشر ٠ وزعم هؤلاء أن الاصطفاء

---

(١) سورة البقرة آية :   (٢) نقض المنطق ص ١٥٤

بالرسالة لا يكون للبشر ، وانما يكون للملائكة ، أو مشروط بأن يكون مع الرسول من البشر ملك يرى ، وفي اعتراضهم على بشريته قالوا : ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق مع أنهم يعتقدون برسالة كثير من الرسل السابقين كابراهيم وموسى وعيسى وهؤلاء في نظرهم بشر وليسوا بملائكة ولذلك أسقط الحق جل شأنه دعواهم في قول الله تعالى : (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) (١)

القاعدة الخامسة :

ألا يكون في الدعوى أو في الدليل الذي يقدمه المناظر تعارض ، أي ألا يكون بعض كلامه ينقض بعضه الاخر ، فاذا كان كذلك كان كلامه ساقطا بداهة ، ومن أمثلة ذلك — قول الكافرين — حينما كانوا يرون الآيات الباهرة تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم " سحر مستمر " وقد حكى الله لنا في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر ، وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) (٢)

---

(١) سورة الفرقان آية : ٢٠

(٢) سورة القمر آية : ١ — ٢

ففي قولهم هذا تعارض وتهافت ظاهر لايستحق ردا . ذلك لأن من شأن السحر كما يعلمون أن لايكون مستمرا . ومن شأن الامور المستمرة أن لاتكون سحرا . أما أن يكون الشيء الواحد سحرا ومستمرا معا . فذلك جمع عجيب بين أمرين متضادين لايجتمعان . ونظير ذلك قول (فرعون) عن موسى عليه السلام حينما جاء . بسلطان مبين بين الحجج الدامغة والآيات الباهرة " ساحر أو مجنون " وقد قص الله علينا ذلك بقوله (وفي موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين . فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون) (١) . وهذان أمران يكادان يكونان متضادين . (٢)

فمن غير المقبول منطقيا أن يكون للشخص الواحد ذو الصفات الواحدة . مترددا بين كونه ساحرا وكونه مجنونا .

---

(١) سورة الذاريات آية : ٣٨ – ٣٩

(٢) الضدان : صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضوع واحد يستحيل اجتماعهما كالسواد والبياض . والفرق بين الضدين والنقيضين : أن النقيضين لايجتمعان ولا يرتفعان كالعدم والوجود . والضدين لايجتمعان ولكن يرتفعان كالسواد والبياض .

انظر : التعريفات للجرجاني ص ١٢٠ .

ذلك لأن من شأن الساحر أن يكون كثير الفطنة والذكاء والدهاء وهذا أمر يتنافى مع الجنون — تنافيا كليا — فكيف صح في فكر فرعون هذا التردد بين كون موسى ساحرا وكونه مجنونا ؟ ان في كلامه هذا لتهافتا ظاهرا يسقطه من الاعتبار لدى المناظرة ، فهو لا يستحق عليه جوابا . وهو يشعر بأن فرعون يتهرب من منطق الحق . ويطلق عبارة يغشى بها على الملأ الاعلى من حوله . حتى لا يفتضح أمامهم بانتصار موسى عليه في الحجة . أو هو ينتقل الى موضوع جرأة موسى في القصر الفرعوني . فيعللها بأنها صادرة عن ساحر يعتمد على قوته في السحر . أو صادرة عن مجنون لا يقدر عواقب الأمور .

وهذا أيضا تهرب من منطق الحجج التي قدمها موسى عليه السلام الى موضوع آخر هو موضوع جرأته .

القاعدة السادسة :

عدم الطعن بأدلة المناظر الا ضمن الأصول المنطقية . أو القواعد المسلم بها لدى الفريقين المتناظرين .

القاعدة السابعة :

ألا يكون الدليل الذي يقدمه المناظر ترديده لأصل الدعوى ، وإذا كان كذلك لم يكن دليلا ، وانما هو اعادة الدعوى بصيغة ثانية ، وسقوط هذا في المناظرة أمر بدهي ، وقد يخفى على الخصم اذا استخدم المناظر براعته في تغيير الألفاظ وزخرفتها ، ولكنها حيلة باطلة لا يلجأ اليها طلاب الحق .

القاعدة الثامنة :

اعلان التسليم بالقضايا والامور التي هي من المسلمات الاولى أو من الامور المتفق بين الفريقين المتناظرين على التسليم بها أما الاصرار على أفكار المسلمات فهو مكابرة (١) قبيحة وممارة منحرفة عن أصول المناظرة والمحاورة الجدلية السليمة وليست من شأن طالبي العلم الحق .

القاعدة التاسعة :

قبول النتائج التي توصل اليها الادلة القاطعة أو الادلة المرجحة ، اذا كان الموضوع مايكفي فيه الدليل المرجح ، والا

---

(١) المكابرة هي : المنازعة في المسئلة العلمية لا لاظهار الصواب بل لالزام الخصم وقيل المكابرة مدافعة الحق بعد العلم به راجع التعريفات ص ٢٠٣ وانظر الشيخ حبنكة في ضوابط المعرفة ص ٤٦٩ .

كانت المناظرة من العبث الذى لايليق بالعقلاء أن يمارسوه.

طبيعة الحوار فى القرآن الكريم:

ليس المراد من هذا العنوان افراده بالحديث عن الخصائص الفنية للحوار فى القرآن .. فان لهذه الخصائص مواضعها من الكتاب . مقترنة بنوع المحاورة التى تمثله .

وانما نعنى محاولة ابراز ما توحيه نظرة فيها شىء من الشمول ننظر بها الى أنواع المحاورة فى القرآن الكريم بوصفها كلا . وليس الى كل نوع على حدة . ومن خلال هذه النظرة التى تحاول شيئا من الكلية والشمول نتبين ما يأتى :

أ- التنوع :

من الواضح أن الحوار فى القرآن الكريم - فى كل الايات التى تعرضت للفظة الحوار - لم يقتصر على نوع معين كالعقيدة أو الاخلاق أو مسائل الحياة . بل شمل كل نواحى الحياة دينية واجتماعية وسياسية ..

وان دل هذا فانما يدل على أن المحاورة فى القرآن الكريم لم تأت عرضا . وانما هى هدف أساسى من أهداف القرآن وأسلوب معين جاء ليحقق للبشرية نفعها ويعمم فيها جوانب

الاصـــلاح ويبين لها مواطن الزلل من غيرها عن طريق التأدب في الحوار وتقديم الادلة بكل رفق والابتعاد عن العنف وعن التجادل المبني على باطل .

٢ـ الاعتماد على العقل:

نرى هذا اتجاه واضح في كل أساليب محاورة القرآن الكريم . وطبيعة هذا الامر مبني على الاسلوب القوى الذى يتجه الى توضيح الحجة وابرازها بالاضافة الى الترتيب المنطقي الجيد . هذا بالرغم من أن التسلسل المنطقي المبني على الافتراضات التى تتنافى مع أسس القرآن . وبالرغم من هذا تجد الله تعالى يوجه نبيه في حواره مع المشركين الى أن يفترض لهم أن هناك آلهة أخرى مع الله . ثم يحاورهم كيف تكون النتيجة ؟

(قل لوكان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) (١)

كما يقول سبحانه (لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) (٢)

---

(١) سورة الاسراء آية : ٤٢

(٢) سورة الانبياء جزء من آية : ٢٢

وهكذا نجد أسلوب المحاورة في القرآن يعتمد على العقل المجرد - أثناء المحاورة - من التأثر بأي عامل أو مؤثر خارج المحاورة • وهو أقصى ما يمكن أن يطلبه أو ينتظره مفكر يدعى الحرية في فكره • أو باحث يدعى التخلص من التعصب والانحياز وقد ضرب ابراهيم الخليل عليه السلام أمثلة باهرة في هذا المجال • كما نراه في افتراض متجرد من النبوة • بل من الايمان في حواره مع الله (واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحي الموتى • قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) (١) • فابراهيم يفترض في هذا الحوار أنه غير نبي وغير مؤمن • وجوابه لله سبحانه بانه قد آمن في قوله (بلى) هو تقرير للواقع من أنه مؤمن حقيقة • ولكن مع هذا لا يتعارض مع تجرده الافتراض من الدين أثناء المحاورة ويدل عليه قوله (ليطمئن قلبي) لأن قلب النبي والمؤمن لابد أن يكون مطمئنا • ولكن ذلك لا يمنع من افتراض عدم الاطمئنان أثناء المحاورة • ولئن كان يبدو في هذا شيء من غرابة وتساؤل • فالجواب أنه منهج ابراهيم الذي يضرب مثالا لا يلحق في مقدرته الخارقة على المحاجة والمحاورة والافحام والالزام التي هي من شروط المعلل •

كما سترى في حديثه الخاص به في محاورته مع المشركين الذين

---

(١) سورة البقرة جزء من آية : ٢٦٠

يعبدون الكواكب • انه افترض في حواره معهم أنه يعبد كوكبا مثلهم • (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي) •

وخلاصة هذا أن المحاورة في القرآن الكريم تتسم بطابع الاعتماد على العقل الى أبعد مدى وهذا واضح من خلال محاورات الانبياء والرسل لاقوامهم ومن خلال تمجيد الاسلام للعقل والاهتمام به في جوانب الحياة •

٣ ـ انصاف الخصم :

ومن السمات الواضحة في محاورة القرآن الكريم المحافظة على حق الخصم وانصافه من كل وجه • وسواء أكان المحاور الذي يمثله القرآن شخصا مؤمنا عاديا أم كان نبي من الانبياء • لأن الامر المهم في المحاورة هو ابراز حق الخصم وانصافه ان كان في كلامه حق حتى لاتنقلب المحاورة الى مكابرة •

ونلاحظ أن أوضح النواحي التي راعى منهج القرآن أنها من حق الخصم ما يأتي :

(١) التجرد من المؤثرات • والاحتكام الى حكم يرتضيه الطرفان وأما التجرد من المؤثرات فمثاله أن يحاور مؤمن كافرا في اثبات وجود الله • فلو قال المؤمن للكافر أنا مؤمن بوجود الله ثم قال أي شيء بعد ذلك • فليست هذه محاورة • بل هي الزام للخصم • أو هي محاورة فاشلة •

لانه قرر أنه مخالف لخصمه من أول خطوة في طريق المحاورة •
وكذلك لو قال له الله تعالى قال كذا أو الرسول قال كذا
لانه لا يؤمن بالله ولا بالرسول • وانما المحاورة المنطقية السليمة
أن يتجرد كل من الخصمين أثناء المحاورة من عقيدته افتراضا •
ومن انتمائه الى أي شيء يؤثر عليه فيما يتعلق بموضوع المحاورة .

وانه ليحضرني في هذه الفرصة مقولة طيبة للامام الشعراني
تؤيد هذا وتثبته أنه يقول في كتابه " اليواقيت والجواهر " :
" ان احتاج انسان الى رد خصم حدث في بلاده ينكر
الشرائع وجب علينا تجريد النظر في رد مذهبه .. لكن بالأمور
العقلية لا بالشرع • فان الشرع هو محل النزاع بيننا وبينه " ..
وهذا يعني أن الخصم لا يؤيد قال الله أو قال الرسول ولكنه
يحتاج الى محاورة ومناظرة واقناع بالعقل في المسائل المتنازع
عليها • وهذا هو الذي صنعه ابراهيم عليه السلام مع المشركين .

(ب) حماية الخصم أثناء المحاورة (١) :

فمهما يبلغ الخصم المحاور من الضعف في رأيه أو في
كيانه • نجده في محاورة القرآن محميا • لا يناله أذى ولا تسفيه

---

(١) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم د / عبد الحليم حفني ص٣٠
١٩٧٧م .

ولا تحقير • ومن بابه قول مشرعي القانون (المتهم برئ حتى تثبت ادانته) •

فطرفا المحاورة قد اتفقا ولو ضمنا على افتراض تجردهما من العقيدة والانتماء خلال المحاورة • وهذا يقتضي ألا يوصف أحدهما بأنه مخطئ أو مصيب •الا بانتهاء المحاورة • فالاساءة الى أي من طرفي الخصومة قبل انتهاء المحاورة ظلم له ولذلك نجد الخصم في محاورات الدين في القرآن الكريم مصونا من الاذى حتى يصدر عليه الحكم • ومثال ذلك هذا الذي يحاور في الله مدعيا انكاره • أو انكار مقدرته على بعث الموتى • وكيف يوجه الله نبيه الى محاورته في غير ايذاء (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم • قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) ثم يضرب له مثلا يقرب الى عقله الفكرة ويوضحها بقوله (الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) (١) أي يخرج لكم من المتناقضات أمورا عجيبة من الشجر الاخضر اليابس الذي هو ضد الحرارة يخرج منه نارا •

هذا هو أسلوب القرآن في المحاورة اقناع ثم الزام في نفس الوقت بدون اهانة للخصم أثناء هزيمته •

---

(١) سورة يس : ٧٨ • ٧٩

(جـ) اعلان المساواة للخصم . وهي درجة أعلى من مجرد حماية الخصم أو عدم ايذائه . حيث تلمس في محاورات القرآن اشعار للخصم بوضوح أثناء المحاورة بمساواته مع محاوره فيما يتعلق بهذا الحوار . هذه نصفة تطمئن المحاور حتى يشعر أنه مساو لخصمه . وأن خصمه هو الذى يشعره بذلك . رغم أن كل الملابسات توحي بغير هذه المساواة . ومثال ذلك أنه مع اليقين بأن النبي على حق . وأن مجادليه هم على الباطل . الا أن الله يوجهه الى افتراض أنه لا يعلم أيهما على الهدى . وأيهما في الضلال . أهو أم هم ؟ (قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين) (١) .

بل نجد انصاف الخصم في محاورات القرآن يصل الى حد اشعار الخصم كأنه المتفوق . وكلا الامرين تجده في مثل هذه الصورة من انصاف الخصم (قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين . قل لاتسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون . قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم) (٢)
فقرر لخصومهم حق المساواة الجدلية فى افتراض أن كلا الطرفين

---

(١) سورة القصص آية : ٨٥

(٢) سورة سبأ : ٢٤ — ٢٦ .

يمكن أن يكون على حق . وأن يكون على باطل (لعلى هدى أو في ضلال) ثم زاد على هذه المساواة أن افتراض صدق الخصوم وصحة رأيهم . ورأى الخصوم أن عملهم وموقفهم من الدين صحيح . أما عمل المؤمنين وموقفهم فباطل واجرام . فالقرآن يسلم لهم جدلا أو افتراضا أن المشركين على حق وأن المؤمنين على باطل ويعلن اليهم هذا على لسان الرسول (قل لاتسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون) .

ومن هذا القبيل في انصاف الخصم . افتراض في صحة أمانيه وتوقع حسبانه (قل أرأيتم ان أهلكني الله ومن معنى أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) (١)

ويصرح القرآن لخصوم المحاورة بالمساواة داعيا اياهم اليها (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا نتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) (٢) فهو يدعوهم الى أمر لا يتميز فيه أحدهما عن الآخر في شيء . (٣)

---

(١) سورة الملك آية : ٢٦

(٢) سورة آل عمران آية : ٤٦

(٣) راجع أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ص ٣٢

٤ ـ تحديد الغاية وتوضيحها :

يهتم حوار القرآن الكريم بابراز الهدف الذى تدور حوله المحاورة • مع التركيز الشديد على أن يكون الهدف واضحا ومحددا ومقبولا من النفوس والمشاعر • بعد اجتيازه مرحلة القبول العقلى • ومن الجلى أنه بعد انتهاء المحاورة واظهار جانب الصواب فيها فما يبقى للخصم الا التسليم وفى هذه الحالة يغلب عليه الاعتراف بالحق • واما يبقى له الافحام والعجز عن متابعة المحاورة • وفى هذه الحالة يعلن هزيمته صراحة أو ضمنا حيث يعجز عن مواصلة المحاورة • ومن أمثلة ذلك محاورة ابراهيم عليه السلام مع المشركين من عبدة الكواكب • وتدرجه العقلى والنفسى معهم حتى وصل الى تقمصه عبادة الشمس معهم (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر) ثم يصل الى النتيجة حين كان قد وصل الى اعترافهم واقتناعهم بأن الاله لا يغيب • ولا ينبغى أن يغيب • من هنا برزت النتيجة (فلما أفلت قال يا قوم انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) (١)

ثم يقول الدكتور حفنى : (وفى اشارة عابرة لايقصد منها

---

(١) سورة الانعام : الآيات ٧٣ ـ ٨١

الى البسط والتحليل) نقول فلننظر في التركيز على النتيجة كيف أن ابراهيم في هذه الكلمات الموجزة راعى كثيرا من النواحي • ومن ذلك :

١- المحافظة على صلته بالخصوم وتقريبهم اليه بقوله (ياقوم) أملا في كسب أيمانهم •

٢- أعلن الحكم على عبادتهم للكواكب • وهو انها شرك (مما تشركون) •

٣- أعلن استنكاره لهذا الشرك (انى برىء مما تشركون) •

٤- بين لهم البديل الصحيح الذى يجب أن يتجهوا اليه بدل الشرك • وهو الايمان بالله (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض) •

٥- بين لهم قدرا كافيا من مزايا الاله الواحد الذى يدعوهم اليه ويكفى انه (فطر السموات والارض)

٦- يخشى ابراهيم اللبس والتأويل • كأن يقولوا نعبد الاله الذى تدعونا اليه • ونعبد معه آلهتنا • فيقول لهم انه يأبى أى شرك مع الله (وما أنا من المشركين)

وكل هذا التركيز والتوضيح منصب على الغاية لابرازها وتحديدها وتوضيحها •

ومن البدهي أن غاية المحاورة السابقة اثبات وحدانية اللـه وابطال ماعداه من آلهة • وهذا التركيز لايتجاوز الغاية المستهدفة وانما يسلك كل سبيل لجعلها في قمة الوضوح •

٥ ـ تحديد الهجوم :

من المعلوم أن الداعية الناجح المحاور لايستطيع أن يغفل أنه يهدف الى كسب محاوره ليضمه في دعوته • وهذا مما يجعله يحافظ على جانب من حواره ان لم يكن ودا • فهو شبيه بالود • أو على الاقل المسالمة بينه وبين خصمه • هذا جانب يراعيه محاور الدعوة • ولكن هناك جانبا آخر تقتضيه طبيعة الخصام من حيث هو • وهو جانب القوة • فالقوة أمضى سلاحا أو أمضى أسلحة الخصومة على الاطلاق • وقد يتوسع في مدلول القوة بأن يقال ان مظهر القوة في المحاورة هو قوة الحجة • كما أن قوة الطعن والضرب في الحرب هي مظهر القوة • وليس هذا التوسع في الدلالة أو الفهم بالغريب ولا المستنكر ••

ولكننا نقول انه مع ذلك أيضا • فلابد من ارتباط القوة بشخص الخصم • بمعنى أن يحس الطرف الاخر أن خصمه قوى • وهذا الاحساس له أهمية كبيرة في التأثير النفسي من حيث التمهيد لتحقيق ما يهدف الى تحقيقه الطرف القوى •

ولكننا نعود فنقول : أن تحديد مظهر القوة ليس ثابتا ولا متفقا عليه • وانما يتفاوت بتفاوت المحاورين أحيانا • وبتفاوت موضوعات المحاورة أحيانا • وبتفاوت الملابسات التي تحيط بالمحاورة أحيانا أخرى • ولكن المهم اننا نرى محاورات الدعوة قد اشتملت في أغلب أحوالها على الجانبين • جانب الرفق مع الطرف الاخر • وجانب اظهار القوة في أي صورة يراها المحاور مناسبة للمقام •

وعلى سبيل المثال نرى اجتماع الأمرين في تعبير واحد في القرآن الكريم (فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) (١)

فالمفترض أن هذه النتيجة جاءت بعد انتهاء محاورته مع خصومه من أهل الكتاب • فقد كان المنتظر أن يسلموا له وأن يقتنعوا بعد ما ساقه لهم قبل ذلك من براهين • ولكن طبيعة اليهود عدم الاستجابة • وأعلنوا التكذيب للرسول ومع ذلك لا يسرع الرسول الى مبادلتهم العداء • وانما يقدم اليهم الرفق أولا (ربكم ذو رحمة واسعة) ثم بعد ذلك يلوح لهم أخيرا بالقوة التي تخيف من لا تجدي معه الرحمة الواسعة

---

(١) سورة الانعام آية : ١٤٧

(ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين)(١) .

هذه هي طبيعة الحوار في القرآن الكريم وما تحمل من خصائص تجعل المحاورة تخاطب في الانسان أكثر من جانب . ويمكن عرض أبرز هذه الجوانب فيما يلي :

١ـ المحاورة تخاطب الجانب العقلي في الانسان من جهتين :
احداهما عرض الحقيقة نفسها . وهو موضوع المحاورة . كالعقيدة مثلا . وهذا قدر يتساوى فيه أسلوب المحاورة مع كل الاساليب . حيث ان لكل أسلوب موضوعا أو فكرة وعندئذ يتاح لعقل السامع أن يفكر في هذه الحقيقة بعقله . والجهة الاخرى المباراة بين المتحاورين . والصراع العقلي الذي يدور بينهما . والحجج التي يتحاورون بها . وكل ذلك يستدعي من السامع أن يشحذ عقله ونشاط ذهنه . ليتابع هذه المباراة . اما متقمصا شخص الحكم . وحينئذ يشحذ عقله لايجاد الحكم . واما منحازا الى أحد الطرفين وحينئذ يجهد عقله للبحث عن حجج يدعم بها موقف المنحاز له . وأما مجرد مشاهد لهذه المباراة . ومع أن هذه أضعف وسائل التنشيط الذهني الا أنها على أيسر الفروض

---

(١) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ص ٣٨ .

ستجعله يستخدم عقله لاستيعاب الصراع العقلي ، والحجج المتبادلة ليحقق لنفسه المتابعة الصادقة ، والاستمتاع بالتباري بين طرفي المحاورة .

٢ — المحاورة تخاطب جانبا آخر وهو جانب الغرائز ، حيث تخاطب غريزة من أسمى غرائز الانسان ، لقربها من العقل ، ولصوقها بالمعرفة ، وهي غريزة حب الاستطلاع فلأن كل ما يستطلعه الانسان ويقف على حقيقته فهو اضافة جديدة الى معارفه

٣ — وهناك الجانب الثالث من جوانب المؤثرات في سلوك الانسان ، وهو جانب المشاعر والانفعالات ، فان إسلوب المحاورة من شأنه أن يثير مشاعر الانسان وانفعالاته ، والقرآن الكريم مليء بمثل هذه المحاورات كمحاورات موسى عليه السلام مع الطاغية فرعون ، وكذلك محاورات موسى مع السحرة ، وما يثير هذا في نفس السامع للمحاورة لأول وهلة .

ومن العوامل التي يخاطبها القرآن في الانسان عامل الخوف ، الذي يوثر في الانسان بأقوى مما يؤثر فيه أي عامل آخر ، وهذا العامل تخاطبه آيات كثيرة حافلة بالوعيد للكافرين سواء في الدنيا والآخرة .

وغنى عن البيان فى ختام هذا الكلام أن القرآن الكريم كله هدفه الدعوة الى الله بصفة عامة . بكل ما يندرج تحت هذه الدعوة من جوانب الاصلاح فى العقيدة أو السلوك أو ما يتعلق بهما .

" الفصل الرابع "

" التصديقات وأقسامها "

ماهو التصديق :

التصديق هو كل مركب تام يحتمل الصدق والكذب لذاته ٠
وهي القضية المنطقية التي سبق الكلام عنها في البحوث المنطقية ٠
ولهذا التصديق مسميات أخرى حسب اختلاف الاعتبارات وحسب
اختلاف العلوم ٠ فعند أهل اللغة يسمى هذا المركب: جملة خبرية ٠
وعند المناطقة يسمى تصديقا ٠ وعند ملاحظة اشتماله على حكم يقصد
اثباته بالدليل أو اظهاره بالتنبيه يسمى (دعوى) أو (مدعى)
وباعتبار أنه يرد عليه أو على دليله سؤال يسمى (مسألة) وباعتبار
أنه يكون محلا للبحث يسمى (بحثا) وحين ينتجه الدليل يسمى
(نتيجة) ٠

أقسام التصديق :

ينقسم التصديق باعتبار حاجته الى نظر واستدلال أو عدم
حاجته الى قسمين : تصديق نظري وتصديق بدهي كما يلي :

أ- التصديق النظري : وهو كل قضية لا يجزم العقل فيها بثبوت
المحمول للموضوع أو نفيه عنه الا بعد النظر فيها والاستدلال

عليها - ذلك مثل قولنا : العالم حادث • مجموع زوايا المثلث تساوى قائمتين - خالق العالم أزلى - فكل واحدة من هذه القضايا تحتاج الى نظر وبحث واستدلال حتى تكون صادقة •.

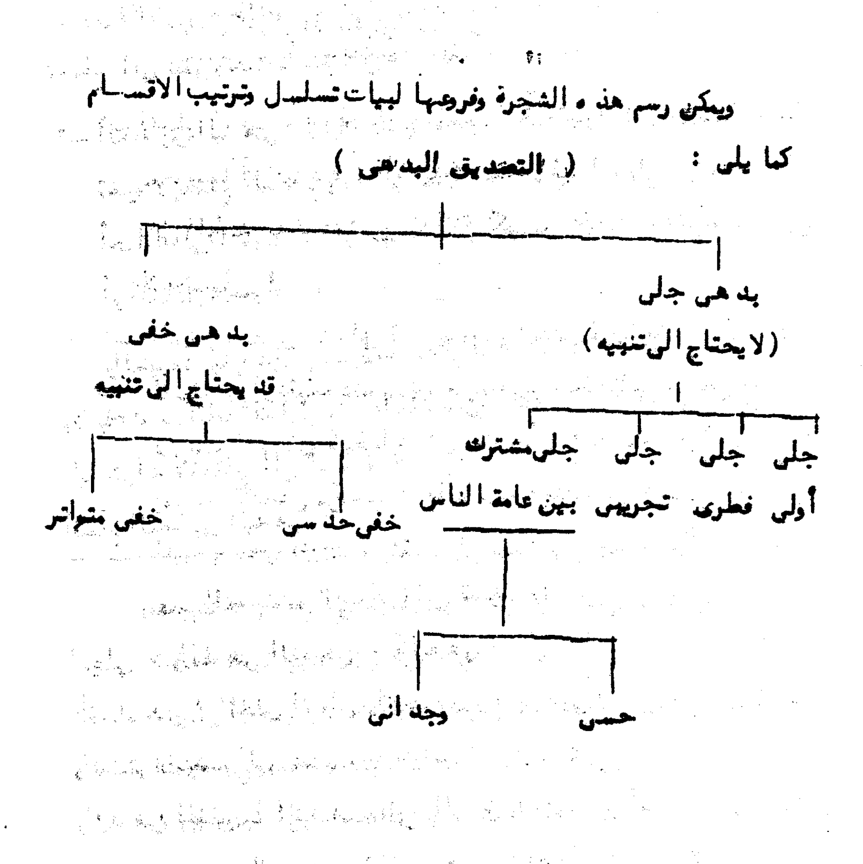
٢- التصديق البدهى : (وهوعكس التصديق النظرى) فهوكل قضية لايحتاج التسليم بها الى نظر واستدلال - بل ربما تحتاج أحيانا الى التنبيه فقط ذلك بالنسبة للغافل عن كونه بدهيا أو الغافل عنه أصلا •

والتنبيه: عبارة عن مركب يقصد به ازالة الخفاء عن المخاطب ولا يقصد به اقامة الدليل على صحة مضمون التصديق البدهى - لأن البدهيات لاتحتاج الى أدلة •

أقسام التصديق البدهى :

ينقسم التصديق البدهى الى قسمين رئيسين هما : البدهى الجلى • والبدهى الخفى • والبدهى الجلى ينقسم الى أربعة أقسام هى : الجلى الاولى والفطرى والتجريبى والمشترك • والمشترك ينقسم الى حسى ووجدانى •
والبدهى الخفى (الذى يحتاج الى تنبيه) ينقسم الى قسمين : خفى حدسى ومتواتر • ويمكن رسم هذه الشجرة وفروعها لبيان تسلسل وترتيب الاقسام كما يلى :

ويمكن رسم هذه الشجرة وفروعها لبيان تسلسل وترتيب الاقسام كما يلي :



شرح هذه التقسيمات والفروع :

(١) أقسام التصديق البدهي :

١ـ الجلي الاولي : هو كل قضية يحكم العقل فيها بثبوت محمولها لموضوعها أو نفيه عنه بمجرد تصورهما من غير احتياج لواسطة أصلا مثل الواحد نصف الاثنين ـ الكل أكبر من الجزء ـ النقيضان لا يجتمعان .

٢ـ الجلي الفطري : هو كل قضية يحكم العقل فيها بثبوت المحمول للموضوع أو نفيه عنه بعد تصورهما بواسطة قياس منطقي موجود في نفس الانسان لا يحتاج الى نظر وتأمل . وذلك مثل الاربعة زوج ـ الانسان مركب . فاننا عندما نتصور الاربعة ونتصور الزوجية وهي كل عدد ينقسم الى متساويين ونتصور أن الاربعة هي عدد ينقسم الى متساويين . فان الذهن بسرعة يجري قياسا فطريا جليا ينتج أن الاربعة زوج .

٣ـ الجلي التجريبي : هو كل قضية يحكم العقل فيها بثبوت المحمول للموضوع بوساطة تجريب ومشاهدات متكررة مفيدة لليقين دون وجود ارتباط عقلي يقيد هذا الحكم وذلك مثل الماء يروي ـ الخبز يشبع الجائع ـ بطر النعمة سبب زوالها .

(يرى بعض العلماء أن هذا القسم من البدهي الخفي) .

٤ـ الجلي الحسي : كل قضية يحكم العقل فيها بثبوت المحمول للموضوع أو نفيه عنه استنادا الى الادراك الحسي : بأحد ى الحواس الخمس الظاهرة .

مثال ذلك الشمس مضيئة ـ النار محرقة ـ الثلج بارد .

هـ الجلي الوجداني : وهو كل قضية يحكم العقل فيها بثبوت المحمول للموضوع أو نفيه عنه استنادا الى الادراك الحسي الوجداني مثال ذلك : الغضب انفعال نفسي مزعج ـ بذكر الله تطمئن القلوب وتنشرح الصدور .

٦ـ الخفي الحدسي (١) (الظني) وهو كل قضية يحكم العقل فيها بثبوت المحمول للموضوع أو نفيه عنه استنادا الى حدس قوى من النفس يزول معه الشك ويحصل به اليقين أو الظن الراجح (عند من لا يرون الحدس من البدهيات) .

مثال ذلك : ما يثبته علماء الجغرافيا ويجزمون به الى حد اليقين دون أدلة برهانية ولكن انطلاقا من شعورهم الحدسي بذلك كقولهم : كثير من التضاريس الارضية قد نشأ بفعل عوامل التعرية ـ كالامطار والسيول والمياه الجارية .(٢)

---

(١) الحدس هو الظن : وهو شعور قوى يتقدح في النفس يدرك الانسان به الحقيقة دون اقامة أدلة .

(٢) راجع: ضوابط المعرفة للشيخ حبنكة ص (٤٢١ ـ ٤٢٣)

٧— الخفي المتواتر: هو كل قضية يحكم العقل فيها بثبوت المحمول للموضوع استنادا الى اخبار جماعة يستحيل تواطوءهم على الكذب في العادة. ذلك مثل: القرآن الكريم نقله المسلمون عن محمد صلى الله عليه وسلم (أبو بكر رضى الله عنه أول الخلفاء الراشدين).

" محمد رسول الله توفى ودفن في المدينة ".

فهذه الاحكام التي تضمنتها تلك القضايا — بديهية عند المسلمين — استند الفكر فيها الى الاخبار المتواترة التي تفيد العلم اليقيني بالنسبة الى من هو على علم بها أو عاش في المجتمع الاسلامي.

ضوابط المناظرة في التصديقات :

أولا : يسمى موجه الاعتراض " السائل " :

ويسمى صاحب التصديق — الذى ينصب نفسه للدفاع عن التصديق " معللا " والمعلل في الاصل هو الذى يبدأ بالكلام عن القضية ٠

والسائل من يعترض عليه ٠ وقد ينعكس الامر فيتحول السائل الى معلل عندما يتقدم بتصديق جديد قد يسند به اعتراضه — ويتحول المعلل الى سائل اذا اعترض على قضية — وهكذا يكون تبادل المواقف بين المعلل والسائل ٠

ثانيا : مالاتجرى فيه المناظرة من التصديقات :

١ — البديهيات الجلية — ليست محلا للمناظرة — لأن الأصل في السائل يريد أن يرجع بالمانع الى البديهيات الجلية فيستند اليهما — لأن البديهيات أول شئ يقع في سلم المعارف الفكرية — فهى ليست محلا للمناظرة أصلا ٠ ومن ناقش فيها كان مكابرا لا يقصد الحق ٠ وانما يريد أن يجادل فقط بالباطل ليدحض به الحق ٠

ثالثا : ماتجرى فيه المناظرة :

١ ــ أول ماتجرى فيه المناظرة من التصديقات وهو محلها الأصلى التصديق النظرى فقط ويكلف فيها المعلل باقامة الدليل الكامل على صحة كلامه .

٢ ــ البدهى الخفى : لما كان البدهى الخفى مما يغفل الفكر ــ أحيانا ــ عن كونه بدهيا كان عن الغفل بداهته بحاجة الى من ينبهه على حقيقته .

وللمعترض حينئذ : أن يمنع . وعلى المعلل أن يجيب بالتنبيه على بداهته وضرورة التسليم به باعتباره بدهيا .

طريقة المناظرة حول التصديقات :

١ ــ صاحب التصديق النظرى اما أن يقدم تصديقه مقترنا بالدليل أو غير مقترن بالدليل . فهما حالتان :

٢ ــ وصاحب التصديق البدهى الخفى كذلك ــ اما أن يقدم تصديقه الخفى مقترنا بالتنبيه أم غير مقترن . فهما أيضا حالتان .

وطريقة المناظرة فى التصديق النظرى وفى التصديق البدهى الخفى واحدة الا أن المعلل فى التصديق النظرى يدافع بما يسمى دليلا للاثبات . وفى التصديق البديهى الخفى يدافع بما يسمى تنبيها لازالة الخفاء . فالخلاف فى هذه التسمية فقط .

طريقة المناظرة في الحالة الاولى للتصديق النظري والبديهي الخفي[1] :

ففي الحالة الاولى من كل منهما . وهي تقديم التصديق النظري غير مقترن بالدليل عليه . وتقديم البديهي الخفي غير مقترن بالتنبيه . يكون اعتراض (السائل) بالمنع .

وذلك بأن يقول لمقدم التصديق احدى العبارات الآتية :

- امنع هذه الدعوى .
- لا أسلم لك هذه الدعوى .
- هذه الدعوى ممنوعة .
- هذه الدعوى غير مسلمة .

ومعنى هذا : مطالبة المعلل بأن يقدم الدليل على القضية ان كانت تصديقا أو التنبيه المزيل لخفائها ان كانت بديهيا خفيا .

ومن هنا يعبرون عن المنع : بأنه المطالبة بالدليل .

ومعناه التفصيلي اذن هو : طلب الدليل على ما يحتاج الى الاستدلال وطلب التنبيه على ما يحتاج الى تنبيه .

اذن فالمنع : لا يتوجه الى تصديق منقول لم يلتزم ناقله بصحته ولا يتوجه الى تصديق نظري مقرون بالدليل .

ولا تصديق خفي بديهي مقرون بالتنبيه .

---

(١) عبد الرحمن بن حبنكة : ضوابط المقدمة ص ٤٢٦ - ٤٢٧

والمنع سواء أكان بمعنى طلب الدليل على ما يحتاج الى استدلال
أو بمعنى طلب التنبيه له وجهان جائزان :
الوجه الاول : أن يكون منعا مجردا عن السند .
الوجه الثاني : أن يكون منعاً مقترنا بالسند .

تعريف السند :

والسند : هو ما يذكره المانع معتقدا أنه يستلزم نقيض الدعوى التي يوجه اليها المنع . ويسمى المستند أيضا .
فليس السند اذن في الحقيقة استدلالا يقدمه المانع . ولكنه بيان لوجهة نظره التي دعته الى المنع . وفيه لفت نظر (المعلل) مقدم التصديق — الى أمر ربما كان خافيا عليه لذلك فلا يعتبر ايراد المانع له قبل أن يقدم المعلل دليله على دعواه غصبا .

أقسام السند :

ينقسم باعتبار صورته الى ثلاثة أقسام :
(أ) السند اللمي — ويسمى أيضا الجوازي .
(ب) السند القطعي .
(ج) السند الحلي ويسمى أيضا بالحل .

(أ) ما هو السند اللمي ؟

السند اللمي هو ما يذكره السائل مع المنع • مبينا فيه أن منعه يستند الى الاحتمال العقلي الذى يجوز خلاف ما ذكر المعلل • فيقول مثلا (لم لا يكون كذا) بعد قوله (أمنع هذه الدعوى) •

وسمى (لميا) أخذا من لفظ (لِمَ) ؟ الذى يذكر فيه للاستفهام ونسبة اليه •

من هذا يتبين لنا أن السند اللمى الذى يوجهه السائل المعترض بالمنع ليس فيه تصريح بما ينافي دعوى المعلل وانما يشتمل على طرح احتمال بجواز ما ينافيها • فهو يبرر ويقوى المطالبة أو بالتنبيه لاثبات صحة الدعوى أو رفع الخفاء عنها •

مثال ذلك : قال صاحب التصديق " العالم قديم "
اعترض السائل عليه بالمنع مقرونا بالسند اللمي • فقال أمنع هذه الدعوى " لم لا يكون العالم حادثا " أى أن العقل يجوز أن يكون حادثا فما دليل ما ادعيت من كونه قديما ؟

(ب) السند القطعي : وهو ما يذكره السائل مع المنع مبينا فيه أن منعه يستند الى جزمه بما ينافي دعوى المعلل " صاحب التصديق" •

ومثال ذلك : قال صاحب التصديق: لاتوجد أحلام صادقة تدل على أحداث ستقع فعلا في المستقبل .

اعترض السائل فقال: أمنع هذه الدعوى — أو هذه الدعوى غير مسلمة — مقرونا بالسند القطعي — كيف والواقع أنه توجد أحلام صادقة تدل على أحداث ستقع فعلا في المستقبل ؟

أي كيف أسلم لك هذه الدعوى واني أجزم وأقطع بخلاف ما ذكرت فيها فما دليل صحة دعواك ؟

(جـ) السند الحلي أو " الحل " :

وهو ما يذكره السائل مع المنع لافتا فيه نظر المعلل (صاحب التصديق) الى منشأ غلطه في دعواه فيقول له مثلا : محل ما ذكرت هو أن لوكان الامر كذا أو هذا فيما لوكان الامر كذا . ذلك مثل أن يقول المعلل (الماء لاينجس بمجرد ملاقاة النجاسة فيه)

اعترض السائل: بمنع الدعوى — وقرن المنع بالسند الحلي — فقال له هذه الدعوى غير مسلمة . وما ذكرت خاص فيما زاد على القلتين . أي كأنه يقول له اني ألفت نظرك الى ما أرى أنه منشأ الغلط . فما دليل صحة دعواك ؟

طرق دفع المعلل منع السائل :

في هذا البحث يتبين للمعلل الطرق الممكنة لدفع منع السائل وهي تتمثل في ثلاثة طرق كما يلي :

١ـ الطريقة الاولى : أن يأتي بدليل : اما أن ينتج نفس الدعوى أو دعوى أخرى تساوي الدعوى التي منعها السائل أو ينتج دعوى أخرى أخص مطلقا من الدعوى التي منعها السائل .

والجواب المنتج الواحد من هذه الاحتمالات الثلاثة يصلح للرد على المنع المجرد من السند والمنع المصحوب بالسند على السواء . وتفصيل ذلك كما يلي :

(أ) أن يأتي بدليل ينتج نفس الدعوى التي منعها السائل وبذلك يندفع المنع ذلك مثل :

يقول المعلل : هذا الكون حادث " دعوى" .

يقول السائل : ممنوع . كيف وهذا الكون أزلي قديم (منع مصحوب بسنده قطعي) .

المعلل : لقد أثبت القانون الثاني للديناميكا الحرارية أن لهذا الكون بداية .وكل ماله بداية فهو حادث . اذن فهذا الكون حادث (دليل المعلل هنا أنتج نفس الدعوى التي منعها السائل فاندفع المنع) .

(ب) أن يأتي المعلل بدليل ينتج : دعوى أخرى تساوي الدعوى

التى منعها السائل وبذلك يندفع المنع لأن اثبات المساوى للشئ اثبات لـه .

ذلك مثل قول المعلل : مقطر خمر العنب قاتل للجراثيم (دعوى)

السائل : ممنوع لم لا يكون غير قاتل للجراثيم (منع مصحوب بسند جوازى .

المعلل : مقطر خمر العنب من أنواع الكحول — وكل أنواع الكحول تستعمل فى الطب للتعقيم — اذن فمقطر خمر العنب يستعمل فى التعقيم . (دليل أنتج دعوى تساوى الدعوى الممنوعة — باعتبار أن المعقم يساوى قاتل للجراثيم . فاندفع المنع) .

(جـ) أن يأتى المعلل بدليل ينتج دعوى أخرى أخص مطلقا من الدعوى التى منعها السائل وبذلك يندفع المنع — لأن اثبات الأخص يستلزم اثبات الأعم .

(كمن يثبت الانسانية لمخلوق فيستلزم اثبات الحيوانية لهذا المخلوق من باب أولى لأنه أعم من الانسانية) .

ذلك مثل قول المعلل المسلم : عيسى عليه السلام مخلوق لله تعالى .

السائل النصرانى : ممنوع . هذا لو لم يكن ابنا لله تعالى (منع مقرون بسند حلى) .

المعلل المسلم : عيسى ولدته أمرأة من الناس وكان يأكل الطعام وكل من هذه صفته فهو انسان .

اذن فعيسى عليه السلام انسان (دليل أنتج دعوى أخص مطلقا من الدعوى التى منعها السائل — لأن كونه انسانا أخص مطلقا من كونه مخلوقـا) ٠

٢- الطريقة الثانية : أن يبطل السند الذى استند اليه السائـل فى المنع (وهذا الجواب خاص بالمنع المقترن بالسند) .ومتـى تم ابطال السند اندفع المنع لأن المنع مساو للسند فى نظـــر المانع دائما ٠ فمتى ظهر بطلانه لم يكن لدى السائل مبـــرر للمنع لأن ابطال أحد المتساويين هو ابطال للآخر ٠ ومتى بطل المنع ثبت نقيضــه ٠ وهى دعوى المعلل الاصـلية نظـــرا لأن النقيضين لايجتمعان ولا يرتفعان فمتى ارتفع أحدهما ثبت الآخر ٠

ومثال ذلك قول المعلل : هذا الكون حادث(دعوى)

السائل: لا أسلم ٠ لم لايكون أزليا (منع مصحوب بسند جوازى)

المعلل: لقد أثبت القانون الثانى للديناميكا الحرارية أن لهذا الكون بداية وكل ماله بداية فهو ليس أزلى ٠اذن فهذا الكـون ليس أزلى (ودليل المعلل هنا أبطل السند الذى استند اليه السائل وبالتالى ثبت نقيضــه وهى دعوى المعلل) (١)

---

(١) راجع : ضوابط المعرفـة ص ٤٣٦ — ٤٣٧

٣ـ الطريقة الثالثة : أن يحرر المعلل مراده من الدعوى التي منعها السائل ذلك بتخصيص أو تعميم ، أو جرى على اصطلاح خاص أو جرى على مذهب من المذاهب ذلك مثل قول المعلل الفقيه :
الماء قليله وكثيره لا ينجسه شيء الا ما غلب على لونه أو طعمه أو ريحه .
السائل : لا أسلم ، كيف وما دون القلتين من الماء ينجس بمجرد ملاقاة النجاسة له ؟ (منع مقرون بسند قطعي)
المعلل : لقد جريت فيما ذكرت على مذهب الامام مالك رضي الله عنه (قام المعلل هنا بتحرير مراده من المذاهب الذي جرى عليه)

الأمور التي لا ينفع المعلل الاشتغال بها :

١ـ منع صحة ورود المنع . (٢ـ منع السند القطعي .
٣ـ منع صلاحية السند للاستناد اليه .
٤ـ الاعتراض على عبارة المنع لانها مخالفة لقوانين اللغة ولا يجوز لمعلل أن يشتغل بشيء من ذلك الا اذا كان بأحد الاجوبة التي ذكرناها من قبل . فان شغل نفسه بشيء من ذلك اعتبر " مفحما " واعتبر ذلك محاولة منه للتهرب من المناظرة . ويجب بعد ذلك الانتقال الى بحث آخر .

طريقة المناظرة من الحالة الثانية للتصديق النظرى والهدهى :

وظائف السائل :

أولا : المنع :

المنع هو طلب الدليل أو التنبيه على مقدمة معينة أو أكثر [1]
واذا أردنا أن نشرح التعريف فيمكن على هذا النحو. نرى كلمة (طلب) تشمل الجنس فى التعريف وهو تموه على كل طلب يحصل من السائل سواء كان استفساريا أو غيره كطلب تصحيح النقل وطلب الدليل على الدعوى .
أما اذا أضفت كلمة الدليل الى لفظة طلب فذلك يكون مخرج للطلب الاستفسارى ولطلب تصحيح النقل (على مقدمة) فصل آخر يخرج طلب الدليل على الدعوى أو على التعريف فليس منعا حقيقة ويخرج أيضا طلب الدليل على الدليل من حيث هو دليل فليس منعا (أو أكثر) ليشمل المنع الواحد الوارد على مقدمة واحدة . والمنوع المتعددة التى يرد كل منها على مقدمة معينة من مقدمات الدليل . ومثال المنع الوارد على مقدمة واحدة كما لو دلل على أن العالم لابد له من محدث بأنه حادث وكل حادث لابد له من محدث .

---

(١) أنظر: ضوابط المعرفة للشيخ حبنكة ص ٤٣٩ .

فيقول السائل أمنع الصغير أى أطلب الدليل على حدوث العالم

ومثال الوارد على أكثر من مقدمة كما لو قال فى المثال المذكـــور

بعد منعه الصغرى سلمنا لكن لانسلم الكبرى أى أطلب الدليـــل

عليها وكما لو قـــال الشافعى الزكـــاة واجبة فى حق النساء واستدل

بأن الحلى تناولـــه النص وهو قوله صلى الله عليه وسلم " أدوا زكاة

أموالكـــم " وكل ما تناولـــه النص جائز الارادة منه وكـــل جائـــز

الارادة من النـــص فهو مراد منه ينتج أن الحلى مراد من النـــص

فللسائل أن يمنـــع أولا أنه تنـــاوله النص لجواز أن يراد مـــــــن

الاموال غـــيره ٠

وثانيا بأن لايعلم أنه جائز الارادة منه لجواز وجود مانع ٠

وثالثا أن يمنع أنه مراد لجواز وجـــود مانع أيضـــا فهذه منوع متوالية

على مقدمـــات معينة ٠٠٠ الخ ٠

والمقدمة المعينة التى يرد عليها المنع نوعـــان :

١ـ جزء الدليل كالصغرى والكـــبرى أو الشرطية ٠ وصورته أن يقول

لا أسلم لك الصغرى أو الكـــبرى ٠٠الخ أو أمنع ذلك ٠

٢ـ شرط الدليل كايجاب الصغرى أو كلية أو تقريب الدليل وصورته

أن يقـــول أمنع الصغرى أو كليه الكـــبرى أولا أسلم ذلك ٠

شروط المنع :

يشترط لتوجه المنع على المقدمة ألا تكون من البديهيات أو الاوليات ولا من القضايا التى قياستها معها . وأن لا تكون مسلمة عند السائل المانع. ومثل ذلك اذا كانت من التجريبيات أو الحدسيات أو المتواترات عند اشتراك عامة الناس فيها . أما اذا لم يشترك عامة الناس فيها فمنعها جائز .

أقسام المنع :

ينقسم المنع الى قسمين (١) :

١- منع مجرد وهو ما لم يذكر معه شئ يتقوى به بأن كان بصيغة امنع أو هذه ممنوعة أو لا أسلم أو أطلب الدليل ونحو ذلك فقط.

٢- منع مع السند وهو ما ذكر معه شئ يتقوى به زيادة على صيغة أمنع .

وقد يطلق المنع على معنى أعم مما ذكر وهو الدخل فى الدليل سواء كان بطريق المطالبة أو الابطال فيشمل النقض والمعارضة الاثنين . وقد يطلق على معنى آخر وهو طلب البيان مطلقا فيشمل الاستفسارى وانما سمى المنع مناقضة لاستلزامه ابطال الدليل

---

(١) ضوابط المعرفة للشيخ حبنكة ص ٤٤٠

في بعض الموارد اذ المناقضة معناها لغة ابطال أحد القولين بالاخر وسمي نقضا تفصيليا لتعلقه بالمقدمة المعينة المفصلة .

ثانيا : النقض :

النقض هو عبارة عن دعوى فساد الدليل أو كل دعوى لاتسمع بدون دليل (١) . ولا يسمع النقض بدون شاهد يدل عليه . وحصروا الشاهد في أمرين وهما تخلف الحكم عن الدليل . واستلزام الدليل المحال كالدور والتسلسل وغيرهما .

وانما يجب الشاهد اذا كان فساد الدليل نظريا أما لو كان فساده بديهيا فقيل ان بداهة العقل هي الشاهد ، وهذا يلزمه أمران :

أولهما : عدم انحصار الشاهد فيما ذكر من الأمرين .

ثانيهما : أن المنع المتوجه بداهة لايكون منعا مجردا . بل يكون منعا مع السند . والسند هو بداهة العقل . ولا قائل بذلك وانما لزم ذلك لانه لا فرق بين الشاهد والسند في كون البداهة تكون شاهدا ولا تكون سندا .

والمراد بالشاهد : هو ما يدل على فساد دليل المعلل .

---

(١) ضوابط المعرفة ص ٤٤٠

أمثلة للنقض :

المعلل (على مذهب الفلاسفة) : هذا الكون قديم (مدعى) ، لأنه أثر للقديم ، وكل ما هو أثر للقديم فهو قديم ، (دليل انتج في نظر المعلل مدعـاه) .

السائل : هذا الدليل باطل منقوض ، لأنه ينطبق على الحـوادث اليومية التي تشاهدها باستمرار ، فهي أيضا أثر للقديم ، فلو صـح الدليل في اثباته المدعى للزم أن تكون الحـوادث اليومية قديمة ، لكونها أثرا للقديم أيضـا ، مع أن كـونها حادثة أمر بدهي .

(شاهد ثبت فيه فساد دليل المعلل بوجود هذا الدليل ونفسـه مع تخلف مدعـاه عنه) .

مثال آخر لملحد :

المعلل الملحد بالله : هذا الكون لا خالق له (مدعى)

لانه أوجد نفسه بنفسه ، وكل ما أوجد نفسه بنفسه فلا خالق له .

(دليل فاسد أنتج في نظر الملحد مدعـاه)

السائل المؤمن : هذا الدليل باطل منقوض ، لانّه يستلزم محـال ، وهو هنا الدور السبقي ، اذ المقدمة الصغرى (الكون أوجد نفسـه بنفسه) تستلزم قبول الدور السبقي المحال ، ذلك لان الكون لا يوجد نفسه حتى يكون موجـودا بالفعل ، ولا يكون موجودا بالفعل حتـى يوجد نفسه ، وهذا مستحيل بداهة .

(شاهد ثبت به فساد دليل المعلل بسبب أنه يستلزم المحال وهو هنا الدور السبقي) ٠

أقسام النقض :

ينقسم النقض الى نوعين :

الاول : النقض الحقيقي : وهو رد الدليل من غير تفصيل لمقدمته وهذا النوع يسمى أيضا (النقض الاجمالي) وهو ينقسم أيضا الى قسمين :

أ ـ النقض المشهور وهو النقض الذى يورد فيه السائل كل عناصر دليل المعلل فلا يترك منها شيئا ٠ ويورده على هيئته فلا يغير فيه شيئا ٠

ب ـ النقض المكسور: وهو النقض الذى يورد فيه السائل دليل المعلل مع حذف بعض العناصر التي اشتمل عليها ٠

أما النوع الثاني من أقسام النقض (النقض الشبيهي) وهو ابطال الدعوى بشهادة فساد مخصوص كالمخالفة لاجماع العلماء أو المنافاة لمذهب المعلل أو نحو ذلك ٠ (١)

---

(١) راجع ضوابط المعرفة ص ٤٥١-٤٥٢

ثالثا : المعارضة :

هي اقامة الدليل على خلاف ما أقام عليه الخصم ويلزم هذا أنها نفي المدلول بالدليل بعد اقامة الخصم الدليل على المدلول ولكن اختلف في هل يشترط تسليم المعارض دليل الخصم أو لا يشترط ذلك ؟

فقيل يشترط فيها ذلك ولو من حيث الظاهر بمعنى عدم التعرض له أصلا بنفي ولا باثبات .

وقيل بعدم اشتراط تسليم الدليل فيها . وهذا محتمل لوجهين :

أولهما : عدم اشتراط التسليم مع اشتراط عدمه .

ثانيهما : عدم اشتراط التسليم لا مع اشتراط عدمه .

وهذا الثاني أعم لصدقه بالتسليم وبعدمه . وانما لم يشترط التسليم على هذا الرأى لانه لو سلم دليل المعلل لكان مسلما لمدلوله فيلزمه التصديق بالمتنافيين وهما مدلول دليل المعلل ومدلول دليل المعارض . ويمكن الجواب عن ذلك بأن المراد تسليم دلالته على المدعى ولا يلزم منه تسليم المدعى فلا يلزم التصديق بالمتناقضين ويلزم هذا انحصار وظائف السائل في النقض والمنع فقط . وانما كان ذلك لازما لان ذلك يكون معناه بطلان الدليل في نظره وهو معنى النقض . ولكن هذا انما يتم لو أردنا بعدم الاشتراط اشتراط العدم . وأما لو أردنا به ما هو أهم فيشمل

المعارضة مع التسليم به دون اشتراط والمعارضة به دون التسليم .

وأما وظائف المعلل فهى على النحو الآتى :

ابطال سند السائل أو اثبات الممنوع بالدليل أو ببيانه بالتنبيه ويدخل فى هذا تصحيح النقل واثبات المدعى بعد المطالبة . ثم ابطال مدعاة وابطال دليل الخصم فى المعارضة عن طريق الافحام والالزام وكل هذه الامور سوف تتضح من خلال الدراسة التى نقتبسها من واقع المحاورات فى القرآن الكريم .

وان شاء الله سوف نجعل محصول الدراسة فى البقية الباقية من هذا المنهج كنماذج لمحاورات القرآن فى مجالات متعددة تهم الداعية كى يستفيد منها وتجعل له عقلا راجحا ولسانا فصيحا مناظرا . لا يعجز عن المحاورة والمناظرة مع خصوم هذا الدين الحنيف . وهذا كله لان المحاورة فى أغلب صورها مباراة أومنافسة أداتها اللسان . وهى فى كل أحوالها تمثل موقف المحاور ورأيه وحجته ومقدار حرصه على بلوغ هدفه .

" تقسيمات المعارضة "

تختلف تقسيمات المعارضة بحسب الاعتبارات الحاصلة لها الى تقسيمين :

١ - فهي تنقسم بحسب ما توجه اليه الى قسمين :

(أ) المعارضة بالدليل .

(ب) المعارضة في العلة .

٢- وتنقسم بحسب مقارنة دليل السائل بدليل المعلل الى ثلاثة أقسام :

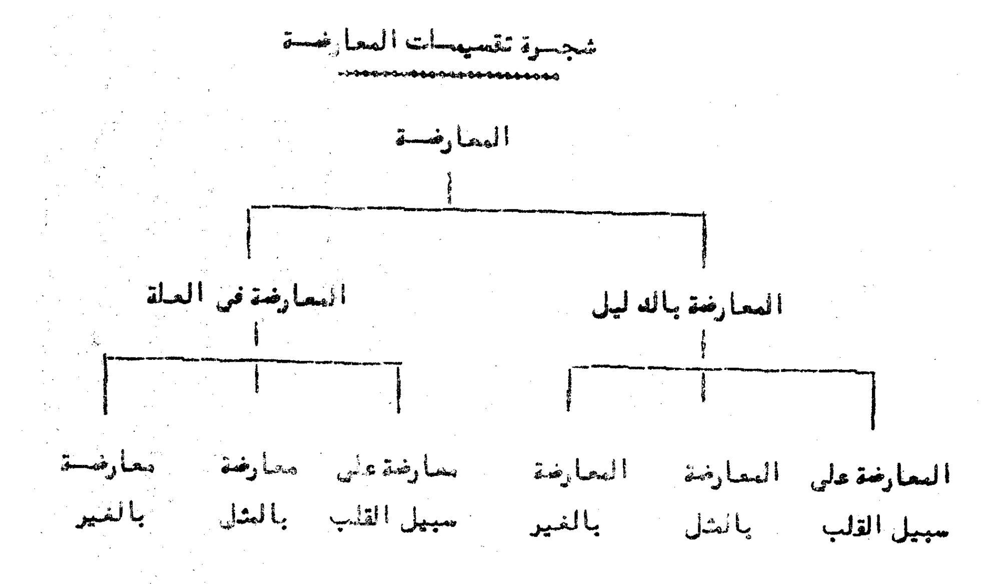
(أ) المعارضة على سبيل القلب .

(ب) المعارضة بالمثل .

(جـ) المعارضة بالغير .

وبهذا التقسيم يمكن أن يتحصل لدينا ستة أقسام : بواقع أن كل قسم من التقسيم الاول وهو (المعارضة بالدليل أو بالعلة فينتج الثلاثة التي في التقسيم الثاني وهم : المعارضة على سبيل القلب أو بالمثل أو بالغير . وهي مجدولة كما يلي :

شجرة تقسيمات المعارضة



وتفصيل وتمثيل هذه الاقسام الستة كما يلى :

١- المعارضة فى الدليل: وتسمى المعارضة فى الحكم أو معارضة فى الموضوع .

ويعرفها البعض بأنها : اقامة الدليل على خلاف الحكم المدعى بعد اقامة الدليل عليه من الخصم. (١)

ويقول عنها بعض العلماء: بأنها المعارضة التى يوجهها السائل الى أصل الدعوى التى أقام المعلل الدليل عليها (٢) - وقد سبق التمثيل لها فيما سبق فى المعارضة .

٢- المعارضة فى العلة : وتسمى المعارضة فى المقدمة : وهى اقامة الدليل على خلاف مقدمة من مقدمات دليل الخصم بعد اقامته الدليل عليها . (٣)

ويقول صاحب ضوابط المعرفة (٤) : المعارضة فى العلة هى التى يوجهها السائل الى احدى مقدمات دليل الدعوى الاصلية - بشرط

---

(١) آداب المسامرة فى البحث والمناظرة تأليف وجمع محمد على سلامة الطباعة الحديثة ١٩٣٥ ص ٤٩

(٢) ضوابط المعرفة للشيخ عبد الرحمن حسن الميدانى . طبعة دار القلب دمشق بيروت ١٩٧٥ ص ٤٣٥

(٣) آداب المسامرة المرجع السابق .

(٤) ضوابط المعرفة السابق ذكره .

أن يكون المعلل قد أقام الدليل عليها — فان لم يكن قد أقام الدليل عليها — فليس للسائل أن يوجه اليها غير المنع — واذا وجه السائل المعارضة قبل أن يقيم المعلل الدليل فتكون معارضته من قبيل — الغصب — وهي وظيفة غير مقبولة عند جمهور أهل البحث والمناظرة •

فذلك مثل قول المعلل : هذا الكون حادث (دعوى أصلية)
وجاء بالدليل فقال : لان الكون متغير • وكل متغير حادث (دليل ينتج المدعى) •

(ثم استدل المعلل على المقدمة الصغرى (الكون متغير)
بقوله : لانه لايخلو من الاكوان الاربعة : الحركة والسكون والاجتماع والافتراق • وكل ما كان كذلك فهو متغير •
السائل : هذا الكون ليس بمتغير في مادته : لانه لايفنى فيه شيء • ولا يخلق فيه شيء وانما هي تحاويل • وكل ما كان كذلك فهو قديم (معارضة بدعوى أخرى هي نقيض صغرى دليل المعلل وهي مقرونة بالدليل عليها فهي اذن معارضة في العلة) •
وللمعلل بعد ذلك أن يمنع صغرى دليل السائل أو كبراه وفق أصول المناظرة) •

٣ـ المعارضة على سبيل القلب : وهي ما اتحد فيها دليل المعارض مع دليل المعلل في الصورة وبعض المادة أو يقال : معارضة دليل المعلل بدليله نفسه • كأن يقول له : دليلك هذا

ينتج نقيض دعواك • فهو حجة عليك لا لك • فينقلب بذلك الدليل عليه • وهذا يكون عند اتحاد دليل السائل والمعلل اتحادا تاما أى يكونا متحدين شكلا وضربا مع اتحادهما فى الحد الاوسط مثلا •

(أ) اذا كانا قياسين اقترانيين :

ذلك مثل قول المعتزلى : رؤية الله غير جائزة عقلا (أصل الدعوى) لانها منفية بقوله تعالى (لاتدركه الابصار) •

وكل ما كان كذلك فليس بجائز رؤيته عقلا •

(دليل انتج فى نظر المعلل مدعاه) •

السائل " المعترض السنى " رؤية الله جائزة عقلا (دعوى مناقضة لدعوى المعلل) لانها منفية بقوله تعالى (لاتدركه الابصار)

وكل ما كان كذلك فهو جائز عقلا (معارضه على سبيل القلب أنتجت فى نظر السائل نقيض دعوى المعلل) •

ويلاحظ هنا أن مالاحظه المعلل فى الاستدلال بآية (لاتدركه الابصار) خلاف مالاحظه السائل • حيث أن المعلل أخذ من الاية استحالة الرؤية مطلقا • بينما لاحظ السائل جواز الرؤية فى الآية لأن المنفى هو الاحاطة الذى يدل عليه الادراك أما الرؤية فقط من غير احاطة فهى غير منفية •

(ب) أو كانا قياسين استثنائيين : ذ لك بأن يكونا متحد ين وصـــفا
ورفعا (اثباتا ونفيا) مع اتحـــاد هما في الجزء المكــــــــرر
(الحد الاوسط) ٠

ذ لك مثل قول المعلل المعتزلي بالقياس الاستثنائي : لو كانـــت
الرؤيـــة جائزة لما نفاها الله تعالى لكـــن الله تعالى نفاهـــا اذ ن
فهي غير جائزة ٠

السائل السني : لو لم تكـــن الرؤية جائزة لما نفاها الله تعالى ٠
لكن الله تعالى نفاها — اذ ن فهي جائزة ٠

(وكما أشرنا من قبل كل واحد من المتناظرين له مفهومـــــه
في آيـــة نفي الادراك) ٠

ومثال آخر للمعارضة بالقلب بالقياس الاقتراني (على نمــــط
المثال الاول) قول المعلل : الشمس تد ور حول الأرض (أصـــل
الدعوى) لانها تشرق على الارض من جهة وتغرب عنها من جهـــة
أخـــرى ثم تشرق من الجهة التي كانت أشرقت عنها بالأمس ٠

وكل ماكان كذ لك فهو يد ور حول الارض (د ليل أنتج فـــي
نظر المعلل مدعـــاه) ٠

السائل : الشمس لاتد ور حول الارض ٠ ولكن الارض هي التي تـــد ور
حول نفسها في مقابلة الشمس — لأن الشمس تشرق عليها من جهة
وتغرب عنها من جهـــة أخرى ٠ ثم تشر ق من الجهة التي كانـــت

أشرقت منها بالأمس • وكل ما كان كذلك فهو به ورحول نفسه في مقابلة الشمس (معارضة على سبيل القلب أنتجت في نظر السائل نقيض دعوى المعلل) •

وسميت معارضة بالقلب لأن المعارض يقلب الدليل فيجعله شاهدا له بعد أن كان شاهدا عليه• (١)

٤ـ المعارضة بالمثل : وهو ما اتحد فيه دليل المعارض مع دليل المعلل صورة لا مادة (٢) بأن يكونا مثلا من الشكل الاول أو غيره على هيئة معينة مع اختلافهما في المادة • أو يقال : هي معارضة دليل المعلل بدليل مماثل لدليله في الصورة ومخالف له في المادة• (٣)

(أ) ذلك مثل قول المعلل الفيلسوف : هذا الكون قديم (مدعى) لانه أثر القديم وكل ما هو أثر القديم : قديم•

السائل : العالم حادث : لأنه متغير وكل ما هو متغير فهو حادث (معارضة بالمثل لاشتمالها على دليل مماثل في الشكل القياسي لدليل المعلل) •

---

(١) المصدر السابق (المسامرة) ص ٤٩

(٢) المصدر السابق

(٣) ضوابط المعرفة ص ٤٣٨

(ب) قال المعلل الفقيه الحنفي : لاتشترط النية في الطهارة من الحدث (مدعى) .

لانه لوكانت الطهارة تشترط فيها النية لكانت تشترط في الطهارة من الخبث . لكنها لاتشترط فيه اجماعا . فهي لاتشترط في الطهارة من الحدث - (دليل انتج مدعى المعلل)

السائل : تشترط النية في الطهارة من الحدث :

لانه لوكانت الطهارة من الحدث مثل الطهارة من الخبث . لكانت في محل موجبها . لا في مكان آخر من الجسم - لكنها لاتكون في محل موجبها مثل الطهارة من الخبث . فهي اذن ليست كالطهارة من الخبث .

(معارضة من السائل بالمثل أبطل فيها دليل المعلل المبني على التماثل بين الطهارتين - واذ اثبت الفارق بينهما بطل الاستدلال) .

٥ - المعارضة بالغير : وهي ما تغاير فيها دليلا المعارض والمعلل صورة . سواء اتحدا مادة أو اختلفا . (١)

ويقول صاحب ضوابط المعرفة (٢) : هي معارضة دليل المعلل

---

(١) المسامرة ص ٥٠

(٢) ضوابط المعرفة ص ٤٣٩

بدليل مخالف لدليله في الصورة وفي المادة معا — كأن يكون أحدهما من الشكل الاول من أشكال القياس الاقتراني والاخر من الشكـــــل الثاني — أو يكون أحدهما إقترانيا والثاني استثنائيا ·

فذلك مثل قول المعلل المالكي : يجب مسح كل الرأس في الوضوء لانه ركن من أركان الوضوء كسائر الأركان التي يجب فيها تعميـــــم الطهارة — وكل ماكان كذلك وجب فيه التعميم — (دليل أنتج مدعـى المعلل) ·

السائل : لايجب مسح كل الرأس في الوضوء لانه لوكان واجبا لماثبت في السنة خلافذلك — لكنه ثبت في السنة خلافه — فليس بواجب·

(معارضـــة بالغير أنتجت للسائل نقيض دعوى المعلل)

ومثل قول المعلل النصراني :عيسى ابن الله(مدعى)

لانه ولد من غير أب — وكل ما كان كـذلك فهو ابن الله ·

(دليل فاسد أنتج مدعى المعلل) ·

السائل المسلم : عيسى ليس ابنا للـه · لأنه لوكان مجاء بغيرأب ابنا لله — لكان آدم أحرى من عيسى بهذه البنوة — لانه جاء مـــن غير أب ولا أم · لكن آدم ليس ابنا لله · فعيسى ليس ابنا لله ·

(معارضة بالغير أنتجت نقيض دعوى المعلل) ·

الفصل الخامس

نماذج من القرآن الكريم في المناظرة والمحاورة

الفصل الخامس
نماذج من القرآن الكريم في المناظرة والمحاورة

أولا : نماذج من القرآن في المناظرة :

من المستحب في هذا الفصل أن نختم بالمسك والكلام المعصوم (القرآن الكريم) ونستعرض بعض الآيات القرآنية لنظهر جانب المناظرات القرآنية كما وردت وهي تعتبر صورة صادقة ودقيقة للتطبيق العملي والفعلي لعلم المناظرة وليس القصد من هذه الأمثلة شمول الاغراض . ولا تمثيل منهج الداعي تمثيلا كاملا . فهذا أبعد ما يكون عن القصد . فان المناظرات في القرآن أكثر عددا . وأكثر تنوعا وتعدد من أن يحيط بها هذا العدد القليل من الأمثلة .

وأن مناظرات القرآن الكريم أبعد غورا وأدق طريقا وأشمل غرضا مما توحيه النظرة العابرة . أو السمع السطحي . وعسى أن يكون في ذلك استعداد لتهيئة النفس لما تستقبل من الكتاب . لأن الذي يريد أن يتذوق جمال أسلوب القرآن لا يكفيه الطابع القريب من سطح أسلوب القرآن وانما يحتاج الى التأمل والتذوق الذي يقف به الى عمق الاسلوب الجمالي في القرآن الكريم .

ومن هذه الامثلة والنماذج ما يأتي :

١ - الآية الكريمة في سورة المائدة آية ١٨ قال تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه • قل فلم يعذ بكم بذ نوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق • يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير)

هذه المناظرة بين اليهود والنصارى من جانب والله ورسوله من جانب آخر يرد فيها على مدعاهم - بالمنع المقرون بالسند القطعي - الذي يتضمن لازم نقيض المدعى •

وحوار المناظرة كما يلي :

المعلل: اليهود والنصارى قالوا (نحن أبناء الله وأحباؤه)
(مدعى الخصم) •

السائل: الرسول والمسلمون : ممنوع : فلم يعذ بكم بذ نوبكم اذ ن ؟ وفي هذا اثبات لازم نقيض مدعاهم - حيث أنه ثبت أنه يعذ بهم بذ نوبهم وبالتالي فليسوا أبناؤه وأحباؤه كما زعموا • اذ ن فادعاؤكم باطل • (١)

٢ - الآية الثانية قوله تعالى في سورة المائدة آية : ١٧

قال تعالى (لقد كفر الذ ين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض ومابينهما

---

(١) ضوابط المعرفة : الشيخ حبنكة ص ٤٧

يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير) .

(فى هذه المناظرة منع دعوى النصارى ومطالبة بالدليل عليها مع بيان سند المنع) .

وحوار المناظرة التفصيلي كما يلي :

المعلل النصراني : ان الله هو المسيح بن مريم (مدعى)

السائل الرسول والمسلمون : هذه الدعوى ممنوعة . فمن يملك من الله شيئا ان أراد الله أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا (وهذا السند يمكن اعتباره من قبيل السند الحلى وصورته " قد تصح الدعوى لو لم يكن المسيح عرضة للهلاك كسائر من فى الارض" ويمكن اعتباره من قبيل السند الجوازى وتكون صورته " لم لا يجوز عقلا أن يكون المسيح عيسى عرضة للهلاك كسائر من فى الارض ؟ ويمكن اعتباره أيضا من قبيل السند القطعى فيكون بمعنى " كيف يكون هو الله وهو عرضة للهلاك كسائر من فى الأرض " ؟ (١)

٣ـ الآية الثالثة : قوله تعالى من سورة البقرة آية : ٢٥٨

قال تعالى (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك . اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت . قال أنا أحى وأميت . قال فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب . فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الكافرين)

---

(١) المرجع السابق ص ٤٧٢

والمناظرة تفصيلها كما يلي :

المعلل : ابراهيم عليه السلام : ربي الذى يحيي ويميت (مدعى) متضمن الدليل حيث يريد أن يقول ان الذى يتصف بأنه يحيي ويميت هو الذى يصح أن أعبده وأدعوه وألجأ اليه ·

كما يتضمن هذا من لوازم الربوبية القدرة على الاحياء والاماتة فوجود هذا دليل على أن المتصف بها هو الرب ·

السائل : وهو النمرود — قال على سبيل المغالطة : (أنا أحيي وأميت) · ثم استدل على ادعائه بنقض دعوى ابراهيم بأن أحضر رجلين فقتل أحدهما وعفا عن الاخر· وتوهم أنه نقض بالدليل المعلل دعوى ابراهيم عليه السلام ·

(فكأنه يقول دليلك ياابراهيم منقوض اذ أنا أتصف بأني أحيي وأميت فلزم على دلك أن أكون ربا · وهذا لاتقول به ياابراهيم)

المعلل ابراهيم : (لم يشأ أن يدخل معه في جدل يكشف فيه المغالطة التي سمى فيها بالقتل اماتة · والعفو احياء · وهما غير مراد ين في دليل ابراهيم بل انتقل ابراهيم الى دليل آخر مماثل لايستطيع النمرود أن يغالط فيه فقال (ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب)

السائل الكافر بالله النمرود : بهت وعجز عن رد دليل ابراهيم لأنه لم يستطع نقضه · وانتهت بذلك المناظرة بهزيمة النمرود ولجأ بعد

ذلك الى طرق العنف المادية كاحراق ابراهيم بالنار لايقافه عن دعوته .

٤ ـ الآية الرابعة : قال تعالى فى سورة الانعام آية : ٩١ .

(وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء . قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس ؟ تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا . وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم . قل الله . ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) .

(يعلم الله رسوله فى هذه الاية كيف يناظر اليهود فى دعواهم (ما أنزل الله على بشر من شيء)

وتفصيل المناظرة وحوارها كما يلى : (١)

المعلل اليهودى : لرفض رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولرفض القرآن الذى أنزله الله عليه (ما أنزل الله على بشر من شيء) (مدعى اليهود) (ويلزم من صحة هذا المدعى اثبات أن القرآن ليس منزلا من عند الله)

السائل : الرسول صلوات الله عليه والمسلمون : من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس ؟

(وفى هذا جواب يتضمن منعا لدعوى المعلل مقرونا بالسند القطعى)

---

(١) السابق ص ٤٧٣

وتفصيله كما يلي :

كيف تقولون ما أنزل الله على بشر من شيء ؟ وقد أنزل الله الكتاب على موسى تعتقدون أنتم به - وتجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا - وقد تعلمتم من هذا الكتاب ما لم تعلموا من قبل أنتم ولا آباؤكم ؟

فاعتقادكم بكتاب موسى الذي أنزل عليه من ربه - وموسى بشر - ينقض دعواكم القائلة - أن الله لم ينزل على بشر شيئا وهذا منح للدعوى ونقض لها باعتبار أن صاحبها يعتقد بخلافها . لذلك قال الله لرسوله (قل الله . ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) .

ثانيا : نمـاذ ج من المحاورة في القرآن الكريم :

١ — في الايمـان :

يقول الحق سبحانه وتعالى (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه أنـي لكم نذ ير مبين • ألا تعبد وا الا الله انى أخاف عليكم عذ اب يوم أليم • فقال المـلأ (١) الذ ين كفـروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نـراك اتبعك الا الذ ين هم أراذ لنـا (٢) باد ى الرأى (٣) وما نرى لكم علينا من فضـل بل نظنكم كاذ بيـن) •

قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت (٤) عليكـم أنلزمكموهـا وأنتم لها كارهون • وياقوم لا أسألكـم عليه مالا ان أجـرى الا على الله وما أنا بطارد الـذ ين آمنوا انهم ملاقو ربهم ولكـنى أراكـم قوما تجهلون • وياقوم من ينصـــرنـى

---

(١) الملأ : الاشراف والسادة وأصله من الامتلاء • كأنهم ممتلئـون بصفـات السيادة •

(٢) أراذ لنا : جمع أرذ ل والمعنى أقلنا شأنا وقيمـة •

(٣) باد ى الرأى وقرىء باد ىء الرأى بمعنى صد قوك أول الأمـــرد ون تفكـير أو تد بر •

(٤) عميت : أخفيت والمعنى خفى عليكم الحق لجهلكم كأنكم عمـــى لاتبصرونـه وتاء الـتأنيث للرحمة وهى النبوة •

من اللـه ان طردتهم أفلا تذكـرون • ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقـول انى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكـم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين •

قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصـادقين • قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزيـن (١) ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون) (٢)

مراحل المحاورة وملابساتها :

وطرفا المحاورة: نوح المرسل من الله •وسادة قومه الذيـن أرسل اليهم •

١ - القضـية :

والقضـية أو الموضوع هى الرسالة التى حملها نوح من ربه ليؤديها الى هؤلاء القوم • وموضـوعها حدده نوح فى غاية الايجاز والوضـوح والتميز عن غيره • وهو قوله (ألا تعبدوا الا الله) فوحدانية اللـه اذن هى كل القضية التى يدور الصراع حولها بين نوح وقومـه •

وهنا نحاول أن نتبين كيف عرض نوح الموضـوع على قومـه ؟

---

(١) بمعجزين : أى لن تغلتوا من عذاب الله •

(٢) الآيات : ٢٥-٣٤ من سورة هود •

والواقع أنه أحاط الموضوع في عرضه بسياجين في غاية القوة ، ليكونا قوة للموضوع ، وحماية له ، وهذان السياجان ، ينصبان على نفسية قومه ، فقد أراد نوح أن يهيئ نفوس قومه قبل القاء الامر الخطير ليكون له بهما شيء من استعداد وتهيؤ ، أو تفكير على الأقل في توقع ما يهيئ له نوح ، وقد هيأ نوح للموضوع بقوله (إني لكم نذير مبين) فهو يوجه اليهم انذارا شديدا الاهمية (مبين) وهذا من شأنه أن يهيئ نفوسهم ويحرك عقولهم ومشاعرهم ، ويمكن تمييز نقاط الركن الاول من أركان المحاورة (وهو الموضوع) فيما يلي :

(ا) التمهيد الذي يسبق صلب الموضوع ، وقد اختار نوح هذا التمهيد قويا عنيفا ليحدث في نفوسهم خوفا وقلقا يهيئها للاهتمام والترقب الشديد للموضوع الذي ينذرون هذا الانذار الشديد من أجله ، وقد صاغ نوح هذا التمهيد في قوله (اني نذير مبين)

(ب) صلب الموضوع : وقد اختار له نوح ألفاظا بسيطة المعنى ، ليس فيها تصوير بياني ، ولا خيال أدبي ، ولا مبالغة ، ولا شيء قط يصرف الذهن عن أصل المعنى ، أو يتيح للنفس أن تجاوز هذا المعنى المحدد ، أو أن تتأول فيه ، وكان هذا التعبير (.. لاتعبدوا الا الله) (١)

وأما أداء الالفاظ للهدف المقصود فقد كان بالغ الكمال في الفقرتين ، ويبدو ذلك حينما تتأمل الفقرة الاولى وهي (اني لكم

---

(١) اسلوب المحاورة في القرآن الكريم ص ٦٥

نذ ير مبين) فلما كان الهدف تأكيد الانذار ليحث في نفوسهم الرهبة والتهيوء ، احتشدت أربعة مؤكدات ومقويات للمعنى ، فمنهـا التأكيد بلفظ (ان) في كلمة (انى) ومنها التخصيص بتقديم الجار والمجرور (لكم) وأصله انى نذ ير مبين لكم ، ولكنه قدم للتخصيص أى الاشعار بأن هذا الانذار خاص بهم دون غيرهم ، وفى هذا زيادة تخويف أو اثارة اهتمام لهم ، ومنهم صياغة لفظ (نذ ير) فالاصل (منذر) ولكنه عدل عنه الى لفظ (نذ ير) ليدل بهذه الصيغة على المبالغة والقوة فى أداء المعنى ، ومنها عدم الاكتفاء بلفظ النذ ير وانما وصفه بكلمة (مبين) ليكون فى هذا الوصف تقوية للمعنى ، ودلالة على قوة الانذار ووضوح مدلوله .

وأما النقطة الثانية وهى صلب الموضوع ، فكما قلنا انهاتعتمد على وضوح المعنى وبساطته ، ولذلك خلت الفقرة كلها من تأثير الألفاظ ، وانحصر الامر كله فى المعنى المجرد من الصياغة البيانية وبتعبير أوضح نقول : ان التركيز فى الفقرة الاولى منصب على الالفاظ والصياغة ، أما فى الفقرة الثانية فينصب على المعنى ، والمعنى المستهدف فى الفقرة الثانية ينحصر فى ابراز توحيد اللـه وافراده بالعبادة ، وليظل هذا المعنى واضحا وبارزا ومحددا صيغ بألفاظ عادية مجردة من أى ثوب بيانى وأدبى ، اللهـم الا جانبا ذا أهمية يتعلق بالمعنى نفسه ، وهو حذف المستثنى منه

ليكون فى حذفه تعميم هو صلب الوحدانية • حيث يجوز لعقل السامع أن يفهم لاتعبدوا الها أو أحدا أو شيئا قط الا الله • ولو ذكر المستثنى منه • بأن قيل مثلا لاتعبدوا الها الا الله • لجاز فى عقل قاصر أو ملتو أن يتأوله على نحو أن يعبد انسانا أو منفعة أو أى شىء غير جنس الاله • ولكن حذف المستثنى منه يقطع على كل العقول كل صور التأويل •

(جـ) التخويف والتهديد : ويتمثل هذا فى قوله (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) عقب تلاوته موضوع الرسالة عليهم مباشرة • حتى يملأ نفوسهم حذرا ورهبة من العصيان والنفور بهذا التخويف • وحتى لا يترك لنفوسهم مجالا للتهرب أو الزوغان يكون هذا التخويف تاليا للرسالة مباشرة •

وبالاضافة الى أن التعبير فى جملته يفيد تحذيرهم وتخويفهم فان الالفاظ تحشد فيه زيادة فى هذا التخويف •ومن هذه الالفاظ (ان) المفيدة للتأكيد • ومنها التعبير بلفظ المضارع فى (أخاف) وما يفيده المضارع من تجدد حدوث الفعل و استمراره • كأن خوفه عليهم متجدد متواصل • ثم الخطاب فى (عليكم) وما يفيده من الاشفاق والاهتمام بهم • ثم انه يخوفهم من عذاب يوم القيامة ولكنه يجعل العذاب عذابين • العذاب الذى سيكون حينئذ واليوم نفسه كأنه عذاب حيث وصف اليوم بأنه (أليم) بمعنى مؤلم

والالم فى الواقع يأتى من العذاب الموجود فى اليوم . ولكنه جعله يأتى من اليوم نفسه حيث جعل اليوم مؤلما زيادة فى ابراز خطورة العذاب . وتعدد مصادره .

٢ - معارضة الخصم :

والخصم فى المحاورة هم الملأ أى السادة والقادة من قوم نوح . وقد سبقت حججهم فى المعارضة . فى الآية الكريمة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك الا بشرا مثلنا وماتراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) ومع هذا الايجاز لو تأملنا دقة التعبير نجدها تبرز لنا كثيرا من الملاحظات . وتبرز لنا حججا صاخبة يعرضونها محاولين أن يجعلوا منها منطقا مقبولا . وأول هذه الملاحظات أن التعبير بعد أن بين أن المعارضين هم السادة . احترز عن أن يفهم أن صفة السيادة لها دخل فى المحاورة . فقيده بقوله (الذين كفروا) لأن الكفر هو عنصر الخصومة فى المحاورة . وليس السيادة . ثم أضيف قيد (من قومه) لأن بعض ماساقوه من حجج وهو أن التابعين لنوح من ضعاف الناس وأراذلهم انما يرتبط بكونهم جميعا - السادة الكافرين والاتباع المؤمنين - من مجتمع واحد . مما يمثل الطبقية الاجتماعية كما سيأتى . بالاضافة الى أن كون السادة المحاورين من قومه معناه أن الذين آمنوا بنوح

من الضعفاء كانوا أتباعا لهؤلاء السادة قبل أن يؤمنوا • واذن فاجتماعهما في مكان وفي مستوى واحد وهو الايمان فيه غضاضة من وجهة نظر السادة الكافرين •

وأما حجج السادة الكافرين فتكاد تنحصر في نقاط : (١)

أولها :

قولهم (مانراك الا بشرا مثلنا) كأنهم يقولون لنوح : ان المرسل من عند الله ينبغي أن يكون متميزا عن غيره من الناس بشيء • والاجاز لكل انسان أن يكون رسولا أو يدعي الرسالة • وأنت لاتتميز عن سائر الناس بشيء • بل أنت بشر مثل سائر الناس فلا يصح أن تكون رسولا • ثم يترتب علي هذا المنطق كأنهم يقولون له : ومادام المرسل يجب أن يتميز عن غيره • فاذا كانت هناك رسالة من عند الله كما تدعي فنحن أولى بها • لأننا نتميز بأننا سادة ووجهاء في الناس • ولكننا لم ندع هذه الرسالة • فأولى ألا تدعيها أنت •

ومن هذا نعلم أن خصومتهم العقلية لم تكن ساذجة كل السذاجة • بل كانت لهم عقول فيها شيء من عمق وفكر • يحاولون أن يخلقوا به منطقا مضللا • والواقع أن وضعهم من السيادة يشير الى أهمية موقفهم • فان السادة غالبا لايكونون سذجا • وخاصة اذا كانوا مجتمعين في تفكيرهم كهذا الموقف • ولولا هذه

---

(١) السابق ص٦٧ - ٧٠

الأهمية لم يكن القرآن ليعنى بذكرهم .

وثانيهـا :

أن من خطورة معارضتهم أنهم تحاشوا المحاورة فى موضـوع الرسالة .مع أنه هو القضـية . فلم يجادلوا فى تصديقهم بوحدانية الله أو عـدم تصـديقهم . وانما عمدوا الى الاصـل والاساس الذى تنبنى عليه القضـية . وهو رسالة نوح من عند الله هل هى صحيحة أم كـاذبة ؟ وهذه النقطة أخطر ما فى القضـية لأن القضـية كلها مبنية على هذا الاساس . فاذا انهار فقد بطلت القضـية كلها . واذا صحت الرسالة فان كل ما يقول الرسول بعد ذلك مصـدق . فهم يريدون أن يكذبوا رسالة نوح من أساسهـا . وحينئذ لايقبل منه أى كـلام فى الموضوع . لأن الصـفة التى يتكلم بها وهى الرسالة انتفت عنـه .

وثالثها :

أنهم يحكمون العرف الاجتماعى ليجعلوا منه حجة .وهـذا العرف يتمثل عادة فى أن أصحـاب الرأى فى كل مجتمع هم سادته ووجوهـه . ورأيهم فى مجموعهم هو مقياس الصـواب والخطأ .حيث من غير المألوف أن يتفقـوا جميعا أو أغلبية على الخطأ . ومن هنا يأخذ خصـوم نوح حجة العرف . وكأنهم يقولون له ان أصحـاب الرأى فى الناس عادة هم سادتهم . لأن مقولتهم ترفعهم الـى

مكان السيادة • ولو كان أتباعك من وجوه الناس لحكمنا بأنك علـى صـواب لاتباع أصحاب الرأى لك ولكن أصحاب الرأى لم يتبعـوك ولم يتبعك قط الا دهماء الناس وأخسهم مكانا فى المجتمع وهـم أراذل الناس[1] • وهؤلاء عقولهم من التفاهة بحيث لا يعتد بهـا • ثم يتابع خصوم نوح استنزاف الحجة حتى أخرها • فيقولون مـع تفاهة عقول تابعيك • فانك أخذتهم على غـرة • ولم يجدوا وقتـا للتفكـير والتأمل • ولو قد فكـروا بهذا القدر الضـئيل من عقولهم لما صـدقوك •

وهذه الوجهة يثيرها خصوم نوح من زاوية الحجة • ويبقـى جانب آخر نفسى لهذه الحجة • وهو أن نفوس السادة والزعمـاء لاتقبل أن تنزل الى مستوى عامة الناس لتكـون معهم على قـدم المساواة • فحتى لو فكر السادة فى الايمان • فان وجود هـؤلاء الأراذل حول نوح يمنعهم من الايمان • حفاظا على سيادتهـم ومكانتهم • وهذا كله من مفهوم قولهم (وماتراك اتبعك الا الذين هم أراذلنـا بادى الرأى) •

رابعها :

قولهم (وما نرى لكم علينا من فضـل) كأنهم يقولون لنـوح

---

(١) الارذل : هو التافه الهين والردئ من كل شئ •

ومن معه • ان ما تدعونه من وجود رسالة سماوية فيكم • ومن منزلة عند الله • ومن ثواب تنتظرونه • كل ذلك يقتضي أن تكون لكم ميزة تتميزون بها عنا • وفضل تعلون به علينا • ولكن أين هذه الميزة • أو هذا الفضل؟ ليس لديكم من ذلك شيء • فكيف تدعون ما ادعيتموه ؟ واذا كنتم غير محقين في دعواكم مع فرض مساواتكم لنا • فكيف بكم وأنتم دوننا ؟ بل كيف بكم وأنتم في أغلب الظن كاذبون ؟ هل تكون هذه المزايا التي تدعونها (من الرسالة السماوية ورضا الله وثوابه) في الكاذبين ؟

ومن هذا كله نتبين أن نوحا عليه السلام كان يواجه خصومة غير هينة • وخصوما لا يستهان بهم • بل اننا لو أعدنا التأمل في جدالهم • نلمح محاولتهم أن يصوغوا كل موقفهم في قالب الحجة المنطقية التي تعنى بها العقول • وتحتاج الى شيء من جهد في بيان زيفها وتضليلها • ومن محاولاتهم الجدلية العقلية هذه • ما يأتي :

١ — التزام السير الصحيح في شكل الخصومة المنطقية ؟ فمن ذلك أن الخصم من حقه أن يعرض وجهة نظره مدللا عليها • وليس من حقه الحكم في الخصومة • حتى لا يكون خصما وحكما • ولا الحكم على أحد الطرفين حكما نهائيا • لأن الحكم على أحدهما حكم في الخصومة كلها • ولذلك نجدهم يلتزمون بيان أن ما

يقولونه هو رأيهم ووجهة نظرهم • فالتزموا قولهم (نرى) وكرروها مع كل حجة • كأنهم يقولون هذا رأينا • نقول شكل الخصومة • لانهم لم يلتزموا السير الصحيح فى موضوع الخصومة • وانما اعتمدوا على التضليل العقلى •

٢- لجأوا الى محاولة سد المنافذ على خصمهم وهو نوع وأنباعه • وسد المنافذ بادعاء عدم وجود احتمالات غير ما يقولونه كقولهم (ما نراك الا بشرا مثلنا) فلو قالوا (أنت بشر) لأمكن لخصمهم أن يضيف قوله : ولكنى أتميز عنكم بكذا • وأما قولهم (مانراك الا بشرا مثلنا) بأسلوب الحصر • فينفى أى احتمال آخر • وكذلك بقية تعبيرهم عن حججهم • واضافة لفظ (من) فى قولهم (وما نرى لكم علينا من فضل) تؤدى مايشبه معنى الحصر •

٣- من محاولاتهم أن يجعلوا موقفهم الجدلى مقبولا وناجحا تلطيف هجومهم على الخصم • ليبدو هذا الهجوم وكأنه أعتدال وعدم شطط • ومن ذلك أنهم جعلوا النتيجة • وهى الحكم على نوح ومن معه فى نظرهم بالكذب • جعلوها فى أسلوب الشك • وعدم اليقين • حيث كانوا يستطيعون أن يقولوا : بل أنتم كاذبون • ولكنهم قالوا (بل نظنكم كاذبين) ليظهروا بمظهر المعتدل أو الذى يحاول الاعتدال • هذا من جهة • ومن جهة

أخرى جعلوا هذه النتيجة • وكأنها استنتاج منطقي من مقدمات سبقتها • وكأنهم يقولون : ماتزعمونه من الرسالة السماوية ومايتبعها ميزة لايصلح لها الا ذو فضل في الناس • وأنتم ليس لكم فضل قط (مشيرين الى أنهم ذو فضل) واذن فلستم أهلا لهذه الميزة • وحينئذ فالنتيجة العقلية أنكم غير صادقين في دعواكم ماتدعون •

وقد يقال : فلماذا صاغ خصوم نوح النتيجة بأسلوب الشك فقالوا (بل نظنكم كاذبين) وقد كان من مصلحتهم أسلوب اليقين بأن يقولوا أنتم كاذبون ؟

والجواب : أن خصوم نوح لم يخسروا بهذا الشك أو الظن شيئا من حيث النتيجة • فانهم يتحاورون حول الدين بوصفه عقيدة •والعقيدة اذا نزلت عن اليقين بأى درجة من درجات الشك لاتكون عقيدة ولا ايمانا • وحتى اذا قلنا ان المحاورة في هذه الفقرة كانت حول صحة الرسالة • فان الرسالة وسيلة لاثبات العقيدة • ووسائل الاثبات • وسائر الادلة • لايصلح فيها الا اليقين ولذلك يقول علماء المنطق والاصول (الدليل متى تطرق اليه الاحتمال • سقط به الاستدلال) • فقول الخصوم (نظنكم كاذبين) يؤدى في النتيجة معنى (أنتم كاذبون) ولكن الخصوم كسبوا بأسلوب الشك والظن محاولة للظهور بمظهر الاعتدال ليكسبوا

٣ — دفاع الرسول :

ولكن نوحا عليه السلام ينبرى لهم بمعارضته القوية وأسلوبه الحكيم ، ومنطقه المفحم ، ويهيئ نوح نفسه للدفاع سالكا الخطوات الآتية :

١ — في التمهيد :

(أ) يحرص على ايجاد ألفة بينه وبينهم ، وألا يبدو في كلامه ما يتخذ ونه حجة للنفور ، والابتعاد ، متجاهلا ما أصابوه وهو والمؤمنين به من اساءات شخصية فان ما يعنيه هو نجاحه في الخصومة ، ليكون هذا النجاح وسيلة لكسبهم في الايمان ولذلك نجده يبدأ كلامه بهذه الرابطة الاجتماعية المتينة بينه وبينهم (ياقوم) مستدرا ألفتهم بهذه الرابطة من جهة ، ومذكرا اياهم ضمنا بأن المرء عادة لايغش قومه ولا يضللهم ليزيد بهذا من ثقتهم به .

(ب) يلجأ الى اثارة عقولهم ودفعها الى التفكير بالقاء الاسئلة عليهم ، فيقول (ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ؟)(١) وأرأيتم معناها أخبروني والبينة الامر الدال على صدقه كالمعجزة ونحوها ، والرحمة النبوة ، وعميت أخفيت ، نعم ما وجهوه اليه في محاورتهم بأخذهم هو بغاية الرفق واللين ، وكأنه يقول لهم :

---

(١) انظر : بدائع الاضمار القصصي في القرآن الكريم د / كاظم الظواهري ص ٢٥٦ — ٢٥٩

افترضوا أن رسالتي التي أكرمني الله بها كانت بينة ظاهرة ولكنها خفيت عليكم فلم تدركوها . هل نكرهكم عليها اكراها ؟ وفي خلال كلامه نجد ألفاظا كثيرة تستوقف التأمل . منها البناء للمجهول في (عميت) اشارة الى أن نبوته ظاهرة واضحة . ومن شأن كل المعقول أن تدركها . ولولا أن هناك حائلا حال دون عقولهم لادركوها . وهذا يمثل غاية الرفق بمشاعرهم . والحرص على ألفتهم . وكأنه يقول لهم أنا لا أتهمكم أنتم في عدم ادراك نبوتي . وانما أتهم الذي حال بينكم وبينها فلم تدركوها . وهذا يدفعهم تلقائيا الى التفكير والبحث عن هذا الحائل . ومنها لفظ (على) في قوله (على بينة) الذي يفيد التمكن من البينة ووضوح الحق عنده . ثم ان المعنى نفسه يمثل أقصى الاطمئنان النفسي لهم . حيث يؤكد لهم حرية الاختيار في الدين كما يقول القرآن في موضع آخر (لا اكراه في الدين) وهذا من طبيعته أن يزيد نفوسهم اطمئنانا ان كان لديهم أدنى استعداد (١)

٢ — الدليل من الواقع :

ومن الحكمة البالغة في أسلوب محاوره نوح أن يترك الأدلة التي ينازع فيها الخصم . أولا تتضح كل الوضوح في ذهنه . ويلجأ الى أقرب الادلة الى الواقع الذي يفهمه ويسلم به

(٢) د / ابراهيم عوضين : البيان القصصي في القرآن ص ١١٤

الناس جميعا ، وهو أن كل عمل له مقابل ، فكأنه يقول : اذا لم أكن رسول الله ، وكان ما أدعيه لمصلحتي أنا ، فأين المقابل وهل طلبت منكم شيئا مقابل ما أبذ له وما أعانيه ؟ وهم لا ينازعون في أنه لم يطلب مقابلا ، ولكن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يردوا عليه به هو أنه شاذ عن طبيعة الناس والشذوذ أمر محتمل وقائم في كثير من الناس ، فالاصل في الانسان مثلا أن يكون مبصرا ولكن بعض الافراد يولدون عميا ، والأصل في الانسان أن يكون عاقلا ، ولكن بعض الافراد يولدون مجانين وهكذا ، فيمكن أن يرد على نوح بأنه شاذ عن طبيعة الناس ، ولذلك يعقب نوح مسرعا ، بأنه لم يشذ عن الناس ، وانما هو يعمل في الرسالة بأجر ، كما يعمل الاجراء بأجرهم ، وأجره بطبيعة الحال عند من استخدمه وهو الله سبحانه ، ويبدأ هذا العنصر أيضا بتألف قومه (وياقوم لا أسألكم عليه مالا ان أجري الا على الله ..)

٣ — الرد على حججهم :

ويأخذ نوح في تفنيد كل ما ساقوه من حجة أو اتهام ، كما يلي :

(أ) فأما نفورهم من أتباعه الضعاف الاراذل في نظرهم ، فيرد عليهم فيه برفق مراعيا دائما أن يحرص على ألفتهم وعدم

تنفيرهم . فيقول (وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون) ونلاحظ أن نوحا يراعى فى رده هذا جوانب عدة بالاضافة الى ايحائه واشارته الى أنه كان يود أن يلبي رغبتهم ويطرد هؤلاء الاتباع من حوله لولا هذه الجوانب والاسباب . وأولها أن هؤلاء الاتباع آمنوا به وايمانهم به يعصمهم من جهتين . أحداهما أن الايمان كرامة لهم . والاخرى أن الوفاء لمن آمن به وصدقه لا يبيح له ايذاءه . وثانيها أنني لو وافقتكم وطردتهم فانهم لابد ملاقو ربهم يوم القيامة . وهناك يشكونني اليه . ولا قبل لي بهذه الشكوى . وهذا الرد من نوح يتضمن أمرا آخر هو دعوة قومه ضمنا الى الايمان بالبعث ويوم القيامة . وثالثها أن هؤلاء المؤمنين مسالمون لم يقدموا اليكم شرا . وانما أنتم الذين تعتدون عليهم فكيف تكونون أنتم المعتدين عليهم وتطلبون زيادة اعتداء عليهم بالطرد . وهذا فى قوله (ولكني أراكم قوما تجهلون) فليس معنى الجهل هنا الشتم بأنهم جاهلون قليلو المعرفة . وانما معنى الجهل هنا الاعتداء فى سفه وحمق . كما يقول عمرو بن كلثوم التغلبي .

ألا لايجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ويعني بالجهل البدء بالشر .

ولكن نوحا يعود بهم الى موضوع الرسالة وهو العقيدة بطريق غير مباشر من خلال هذه النقطة ، قائلا لهم : تعالوا نفترض أنى وافقتكم بع كل هذا وطردتهم ، وحل بى غضب الله ، فأين من يحمينى من الله ، ألا تستخدمون عقولكم وتفكرون (أفلا تذكرون) وكأنه يقول لهم ، هل تحموننى أنتم أو آلهتكم من الله ؟ (وياقوم من ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون) ؟

(ب) وأما قول الخصوم (وما نرى لكم علينا من فضل) فيرد عليه نوحا عارضا أفكارهم وتصوراتهم عن طبيعة الفضل نفسه ، فهم يتصورون أن الفضل لابد أن يكون شيئا محسوسا محددا ، سواء أكان ماديا كالمال ، أم روحيا كعلم الغيب ، أم بالخروج عن طبيعة البشر الى طبيعة أخرى كالملكية ، فيقول لهم نوح فيما يشبه السخرية من تفكيرهم ، اننى لم أقل لكم ان الله أعطانى خزائن ملكه وأمواله ، ولم أقل لكم ان الله أعطانى ما خص به نفسه وهو علم الغيب ، ولم أقل لكم ان الله سلخنى من البشرية ، وجعلنى من الملائكة ، وكأنه يقول لهم أنتم مخطئون فى تصوركم أن الفضل لابد أن يكون بهذه الصورة ، وأن من يفضله الله لابد أن ينيبه عنه أو يشركه معه أو يخصه بشىء محدد كما تتصور عقولكم ، وأنتم مخطئون فى احتقاركم وازدرائكم لى ولمن معى من المؤمنين لاننا لم نكن كما تتصور

عقولكم • فالحقيقة أن الفضل • بل الخير عامة • انما هو في النفوس وما تتميز به من فضائل (الله أعلم بما في أنفسهم) واذا وافقتكم في تصوركم الخاطئ أكون ظالما لكل شئ • لنفسي ولمن معى • وللحق والعقل • ولكل شئ (ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين) .

وبهذا نجد أن نوحا قد استقصى كل حججهم وهجومهم • ورد على كل فقرة ردا محددا واضحا • مراعيا أمرين لا يحيد عنهما :

١ـ الحرص الشديد على تأليفهم وعدم تنفيرهم • ولذلك يكرر في كل فقرة (ياقوم) بالاضافة الى تحاشى ما يؤذى نفوسهم من لفظ أو معنى • وأكثر من هذا تحاشيه الرد على ايذائهم واساءتهم اليه والى من معه .

٢ـ التزام المنطق العقلى الذى تتفق عليه كل العقول والذى لا ينكره الخصوم أنفسهم • كالزامهم الحجة فى أنه لا يطلب منهم أجرا • وحتى فيما يثقل على نفوسهم لتعودهم عليه كأوضاع الفوارق الاجتماعية بين الاغنياء والفقراء والسادة والدهماء • حيث تعودوا ذلك وصاغوا حياتهم ونفسياتهم عليه • فان نوحا يبدى رغبته فى الترفق بهم • بافتراض مجاراتهم فيما يطلبون • فيفترض

أنه طرد هؤلاء الفقراء الضعفاء ارضاء للسادة ، ولكنه يعود بالسادة الى العقل حين يوجه اليهم هذا السؤال (... من ينصرني من الله ان طردتهم ..) ؟ (١)

نتيجة المحاورة :

وما دام نوح قد استطاع الرد المقنع ، فقد انتهت المحاورة لانهم أدلوا بكل ما لديهم من حجج ، وهو فند كل هذه الحجج ، فبطلت اذن حججهم جميعا ، ومعنى هذا أن نوحا قد انتصر ومن حقه أن يلزمهم دعواه أنه رسول من عند الله ، ويترتب على هذا التزامهم ما يدعوهم اليه ، وهو وحدانية الله ، وهم أنفسهم يعلمون أنهم حينئذ بين أمرين اثنين ، اما أن يأتوا بحجة جديدة ، واما أن يسلموا ، ولكنهم لا يريدون ذلك مهما كان الحق واضحا .

فلم يكن أمامهم حينئذ الا أن يعترفوا ولو ضمنا بهزيمتهم في المحاورة ، وانتصار نوح عليهم فيها ، وقد صاغوا ذلك فيما يشبه الذم أو اللوم لنوح بأنه كثير الجدال ، ولكنهم يعلمون أن ذلك لاينهي الموقف ، فمازالت الدعوى ماثلة بانتصارها أمامهم تطالبهم بالاعتراف بها ، ولكنهم مصرون على المضي في الباطل ، وكأنهم يقولون : مع هذا كله ومع عجزنا عن مجاراتك في الحوار ، فما زلنا غير موقنين بما تقولون ، فان كنت صادقا

---

(١) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ص ٧٧

فأنزل بنا العذاب الذى تتوعدنا به (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) .

ولكن نوحا لا يريد أن يتركهم حتى هذه الثمالة التى يبدو واضحا أنهم يريدون منها حفظ ماء وجوههم بعد الهزيمة . ثم يتخذون منها ثوبا يحاولون به ستر اصرارهم على الباطل الذى دحرته المحاورة . فيعود نوح الى حوارهم فى هذه الثمالة . فيقول لهم ان العذاب الذى تستعجلونه ليس لى عليه سلطان . وانما الله سبحانه هو الذى يملك أن يوجهه فيأتيكم به ان شاء . ويصرفه ان شاء فاذا أراد احلاله بكم فليس لكم منه منجى ولا مهرب (قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين) .

ولكن نوحا لشدة حرصه على ايمانهم يعاوده الحنين الى استمالتهم . فيذكرهم بأنه ناصح لهم . ولكنه يحتفظ بالسياق الذى يتطلبه الرد . وهو أنه مجرد رسول . وقد أدى الرسالة بأمانة . فالخصومة الآن ليست بينهم وبين الرسول . لأنهم رفضوه . ولكنها بينهم وبين من أرسله . وهو الله سبحانه بيده كل شىء وارادته وحدها هى التى تنفذ (ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم أن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون) .

ومما يستخلص من الملاحظات فى ختام نوح للمحاورة أمران :

١ — أحدهما احساسه باليأس من استجابتهم وميلهم اليه . فبدأ ينسلخ منهم نفسيا . ولذلك تحاشى حينئذ ما تعوده نداءه منه خلال المحاورة من استمالتهم . فلم يقل فى الختام (ياقوم) .

٢ — مع فقده لصلته هو بهم . لم ييأس من صلتهم بالله . عسى أن يهتدوا اليه . فكرر تذكيرهم بالله . وأنه ربهم وأنهم لابد راجعون اليه . (١)

---

(١) راجع : أسلوب المحاورة فى القرآن الكريم ص ٦٩-٧٩ والفضل فى هذا المبحث يرجع الى كتاب أسلوب المحاورة للدكتور / عبد الحليم حفنى هكذا تقتضى الامانة العلمية .

٢ - في طلب العلم :

يقول الله سبحانه وتعالى (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما • قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا • قال انك لن تستطيع معي صبرا • وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا • قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا • قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ...) (١)

جوانب المحاورة

١ - السياق :

يتلخص سياق المحاورة في أن موسى عليه السلام كان شديد الولع بالعلم • وبأن يبلغ منه أقصى ما يتاح لبشر أن يبلغه • وكأنه أحس أنه لكونه نبي عصره لا ينبغي أن يكون على وجه الارض من هو أعلم منه • فليس فوق النبوة منزلة • ولكنه عرف أن هناك شخصا اله يه من العلم ما لم يبلغه هو • وهو الخضر • فطلب من ربه أن يدله على مكانه فدله • فاصطحب خادمه وصمم على هذا السفر الطويل • وعلى ألا يرجع حتى يلقى الخضر • ولو قضى

---

(١) الايات : ٦٥ - ٧٠ سورة الكهف •

بقية حياته فى هذا السفر . ونفذ عزمه هذا . حتى وصل الى الخضر . ومع موسى خادمه . وليس له الا هدف واحد . هو أن يتلقى العلم عن هذا العالم.

٢ - طرفا المحاورة :

فأما الطرف الاول فهو موسى عليه السلام . ورغم أنه من أعظم أنبياء البشرية . وأحد أولى العزم الخمسة من الرسل . نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام . فانه مع ذلك كان فى هذا الموقف الذى تمثله المحاورة مجرد طالب علم.

وأما الطرف الثانى الذى ذكره القرآن بلفظ (عبدا من عبادنا) فهو المشهور باسم الخضر . وان لم تكن هنالك رواية صحيحة بهذا الاسم عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو وحده الذى يستطيع أن يبين شيئا لم يبينه القرآن كهذا . والاسم لذاته غير ذى أهمية . وانما تنصب الاهمية على صفته وما يصدر عنه . فالذى يعنينا أن القرآن حدد له صفتين :

احداهما الرحمة . وهى صفة تنبئ عن الخلق الذى يظهر أثره فى السلوك . والمفسرون يرجحون أن المراد بها العصمة عن السوء . وقد أخذوا هذا المعنى من القرآن نفسه فى قوله (١) (وما أبرئ نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى)

---

(١) الآية ٥٣ سورة يوسف .

حيث كان السياق هنا يشير الى أن المراد بالرحمة العصمة من السوء ومهما يكن من شيء . فواضح أن الرحمة هنا وصف يتعلق بالخلق والسلوك .

والصفة الاخرى أنه عالم . وهذه الصفة هي التي ارتبطت بها المحاورة . ولكننا نلاحظ في تعبير القرآن عن الصفتين أنهما من طراز غير عادي . وأنهما من نوع خاص . وليس عاما . فالرحمة موصوفة بأنها (رحمة عندنا) والعلم أيضا موصوف بأنه من قبل الله مباشرة (وعلمناه من لدنا علما) فانه وان كان كل شيء من عند الله . الا أن هناك فرقا كبيرا بين ما هو من عند الله مشاعا للناس . أو ما فيه واسطة بينه وبين الله . فالرحمة من عند الله مباشرة كالعصمة التي يهبها الله لنفر معدود أو قليل من البشر . وهم الانبياء . وكذلك هذا العلم الذي منحه الخضر . ليس علما مشاعا كالعلم بمعناه العام . وانما هو علم خاص . من الله مباشرة . كرؤية بعض المغيبات مما اختص الله به نفسه . لا يمنحه الا لأفراد معينين . لا يلزم أن يكون من بينهم الانبياء . ولذلك لم يكن منهم موسى عليه السلام .

وهنا ملاحظة استوقفت المفسرين . وعنوا بمحاولة اذهاب ما قد يشوبها من لبس . وهي أن المفروض أن يكون الأنبياء أعلم

من غيرهم . فكيف يكون موسى دون الخضر فى العلم ؟ ونراهم لذلك يقولون ان الخضر نبى . ويرتبون على ذلك أنه لابأس بأن يأخذ النبى العلم من نبى آخر . وانما اليأس أن يأخذ من غير النبى . مع أن هذا التعليل لايكفى للاجابة والاقناع . فحتى لو افترضنا أن الخضر نبى . فانه غير مرسل . والنبى المرسل كموسى أفضل من النبى غير المرسل كالخضر . ويظل الوضع حينئذ فى الفارق بينهما قائما .

والواقع أن الامر ليس فى حاجة الى التماس العلل . ولا الى اثارة الملاحظة أصلا . فالنبى لايفترض تفوقه الا فيما يتعلق بصفته وهى النبوة . فالنبوة أداة الهداية للناس والنبى ينبغى ان يكون أعلم الناس وأصلحهم فى هذا المعنى وحده .. وهو الهداية وما يتعلق بها . كما أن العرف يحدد أن التفوق يكون فى الصفة التى هى موضوع التفوق والمفاضلة دون غيرها فتفوق الطبيب مثلا يكون فى الطب . ولا يضيره أن يكون هناك من هو أعلم منه فى الهندسة أو الادب أو فى غيرهما . ولا يقلل من قدر المهندس ألا يكون عالما فى النجارة أوالحدادة أو غيرهما . فالشئ الوحيد الذى يمس منزلة النبى أن يكون هناك من هو أفضل منه فى صفته ذاتها . وهى الهداية وما يتعلق بها . ولا يقلل قط من قدره أن يكون هناك من هو

أعلم منه في أي شيء آخر كالمهن والصناعات أو أي شيء لا يرتبط بالهداية التي هي مهمة المرسل من عند الله . ومن الواضح أن علم الغيب ليس مرتبطا بالهداية . فلو افترضنا مثلا أن الملائكة يعلمون شيئا من الغيب . فانه لا يقلل من منزلة الانبياء أنهم ليسوا ملائكة أو ليست لهم صفات الملائكة . واذن فلا يقلل من منزلة موسى قط أن يكون هناك من هو أعلم منه في أي شيء . خارج صفة النبوة والرسالة . بل يزيده فضلا وشرفا أن يلتمس العلم ويستفيده ممن هو دونه . كما حاول مع الخضر . بل ان محمدا صلى الله عليه وسلم التمس العلم والفائدة ممن هم دون الخضر . كالتماسه من الحباب بن المنذر في بدر . ومن سلمان الفارسي في الخندق .

٣ - موقف الطالب :

وقد كان موسى في موقفه من الاستاذ مثالا جمع أقصى ما يمكن لطالب العلم أن يجمعه ليتوصل به الى تحصيل العلم . ولسيطرة الرغبة الشديدة الملحة على موسى في أن يحصل من هذا العلم . ولكونه بذل جهدا قاسيا مضنيا لا يريد ولا يرضى أن يذهب هباء . ولكونه غير واثق من موافقة الاستاذ على قبوله طالبا . نجده يركز كل جهده في تضمين كلماته أقصى ما يتاح للالفاظ أن تحمل . عساها أن تقع من نفس هذا العالم موقع

الرضا فلا يرفض تعليمه (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) ؟ واذا تأملنا هذه الكلمات التى توسل بها موسى الى أستاذه نجد فيها تتضمنه من اشارات ما يأتى :

لفظ (له) : نلاحظ أنه يفيد تخصيص الخطاب من موسى الى الخضر مباشرة • ولو كان التعبير قال موسى دون ذكر (له) لكان هناك احتمال ولو ضعيف أنه أرسل اليه خادمه مثلا • ولكن التعبير يفيد أنه ذهب بنفسه • وأنه طلب هذا المطلب بنفسه أيضا • وهذا يقتضيه خلق طلب العلم • أن تكون الصلة بين الطالب ومعلمه مباشرة • وأن يتواضع طالب العلم مهما تكن منزلته •

ولفظ (هل) استفهام في أسلوب العرض والرجاء • وكأنه لا يطلب منه طلبا • وانما يسأله مجرد سؤال : هل يقبل ؟

ولفظ (أتبعك) يتضمن أقصى الخضوع النفسى • وكأنه يهيئ نفس العالم بأسلوب يخجل معه أى كريم أن يرد طلبا • حيث كأنه يقول له : قبل كل شئ • أريد أن أكون تابعا لك فهل تقبل ؟ والتبعية هنا اشارة الى ثقة الطالب فى معلمه • حيث اذا انعدمت ثقته في علم أستاذه انعدمت استفادته •

ولفظ (على) يفيد الاستعلاء • وفى ظاهره التعارض مع ألفاظ الخضوع السابقة • ولكنها حكمة الاسلوب • أن يجمع

بين الامرين . فكأنه بعد أن قدم أقصى الخضوع لاستاذ ، أو لمن يريد ، أستاذا أراد أن يشعره بشيء من حقيقته هو . وكأنه يقول له : لن ما أقدمه من خضوع ليس هوانا . وانما هو مقابل شيء أطالبك به . هو العلم . فكما أني أخضع في جانب . أشترط عليك في جانب آخر .

ولفظ (تعلمني) يفيد أنه لا يطلب من أستاذ ، أكثر من بذله علمه . سواء تعلم الطالب أو لم يتعلم . بخلاف ما لو قال له : على أن أتعلم . فهو حينئذ يشترط عليه أن يصبح متعلما أي أن يستفيد قدرا من العلم . أما تعبير موسى الدقيق فهو (على أن تعلمن) أي تبذل علمك لي . ولا عليك بعد ذلك ان استفدت من علمك أو لم أستفد . فالمعلم دائما يملك أن يقدم علمه . ولكنه لا يملك أن يغرس هذا العلم في نفس تلميذ .

ولفظ (مما) يتكون من كلمتين (من) وهي حرف جر يفيد التبعيض . و(ما) اسم موصول بمعنى الذي . والمعنى على أن تعلمني بعض ما لديك من العلم . ولو قال له موسى على أن تعلمني ولم يزد . لاحتمل أنه يريد أن يعلمه كل علمه . أو قدرا كبيرا من علمه كما هو مألوف في رغبة طالبي العلم . ولكن موسى يتلطف . ويهون الامر على الخضر . وكأنه يقول : يكفيني منك بعضا من العلم وهذا البعض تحدد قدره وكميته أنت كما تريد .

وكلمة (علمت) بلغت النظر فيها البناء للمجهول • فلماذا لم يقل مما تعلمت ؟ أو مما لديك ؟ والواقع أن البناء للمجهول يشير الى معنى دقيق • وهو أن علم الغيب الذى لدى الخضر لايكتسب اكتسابا كالعلم العادى • ولذلك لايصلح أن يقول مما تعلمت • فهو هبة محضة من الله • لادخل للانسان فى اكتسابه وتحصيله • ويمكن أن نفهم اشارة أخرى من بناء الفعل للمجهول • وهى كأن موسى يقول له : كما أن هناك من تفضل عليك بهذا العلم • وهو الله سبحانه • دون أن تبذل فيه جهدا أو أجرا • فكذلك لاتبخل أنت بأن تمنح بعضا منه لغيرك •(١)

وكلمة (رشدا) يبين بها موسى هدفه من الحرص على العلم • وهو طلب الرشاد وأن يكون هذا العلم وسيلة الى الخير والهدف وهكذا علم الانبياء والمؤمنين عامة • يكون وسيلة الى الخير وليس الى الشر • ولكن تصريح موسى بهذا الهدف يتضمن حملا لهذا العالم على أن يعلمه • فمادام هذا العلم يحقق خيرا ورشدا • فكيف يحجبه صاحبه ويكون سببا فى منع هذا الخير المرجو ؟

---

(١) أسلوب المحاورة فى القرآن الكريم ص١٤١

٤ — موقف العالم :

وأما العالم وهو الخضر ، فقد كان رده ينبئ عن منطق العلماء وأسلوبهم ، الذى يعتمد على تحديد الاحكام ، والتعليل لما يصدرونه من حكم أو يرونه من رأى ، مع دقة التعبير فى كلا الامرين ، ويستوقفنا فى رد الخضر :

١ — أنه لم يرفض تعليم موسى ، وهكذا خلق العلماء فى عدم الضن بما لديهم من علم ، ولكنه يجد أن هناك سببا يجعل تعليمه غير مجد ، وكأنه يقول لموسى : لست آبى أن أعلمك ، ولكن هناك ما يمنع ، وسأخبرك به .

٢ — كان هذا المانع هو علم الخضر أن موسى لن يستطيع الصبر على آثار هذا العلم الغريب الذى يحمله الخضر ، ومثل الخضر الذى اختصه الله ببصيرة نافذة الى الغيب ، من المتوقع أنه لاتخفى عليه نتيجة صلة موسى به ، ولذلك نجده يتحدث عن المستقبل ليس حديث الظن أو الترجيح كما ينبغى لأى انسان وانما يتحدث حديث التأكيد للمنبئ عن العلم واليقين ، فيقول (انك لن تستطيع معى صبرا) فهو يرد على موسى بأن علمه للنتيجة المستقبلة يجعله غير مستعد للتعليم .

٣ — نلاحظ تعبيره المهذب الدقيق فى رده على موسى

فحين نفى عنه القدرة على الصبر، لم ينفها على الاطلاق ، وانما نفاها في حالة معينة ، هي صحبة موسى له ذلك في لفظ (معى) الذى انصب النفي عليه ، في قوله (انك لن تستطيع معى صبرا) بمعنى أننى لا أنفى عنك صفة الصبر ، وانما أنفى مقدرتك على الصبر في حالة معينة ، هي صحبتك لى ، أما في غير هذه الصحبة فلا أنفى عنك فيه شيئا ، ونلاحظ أيضا التنكير في (صبرا) بمعنى أنك مهما كنت صبورا فانك في حالة صحبتى لاتستطيع صبرا ولو يسيرا ، فالتنكير هنا يوحى بالاطلاق والتعميم على أن لفظ (تستطيع) يحمل أيضا اشارة بالتماس العذر لموسى في عدم المقدرة على الصبر، فمعناه أن هناك شيئا يدفعه الى عدم الصبر ، وكأنه هو يقاوم ويحاول أن يصبر ولكنه لايستطيع .

٤ — بأسلوب العالم في التعليل يحاول الخضر أن يقنعه بتوضيح العلة في الحكم السابق ، وهي (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) بمعنى أن الانسان يصبر عادة وتطمئن نفسه حين يكون الامر واضحا مفهوما لديه ، أما ما يجهله فانه يثير له بعض الغرابة وحب الاستطلاع ، وهذه طبيعة في الناس عامة ، ولكن موسى يتميز عن الناس بأنه نبي ، وهذا يقتضى على وجه اليقين والوجوب ، أنه لايعمل عملا ، ولا يرضى عن عمل

الا اذا كان شديد الوضوح في أنه خير ، أو بعيد عن الشر كالمباح ، ولذلك كان تعبيره (ما لم تحط به خبرا) فالاحاطة تقتضي التمكن ، والخبر (بضم الخاء) بمعنى الاختبار وكأنه يقول : انك لن تصبر على شيء الا اذا أحاط به علمك وخبرتك .

والاستفهام المستفاد من (كيف) يحمل معنى التعجب بمعنى كيف تستطيع الصبر ، والسكون على أمور غير مرضية وهي مجهولة الاسباب والدوافع ، ؟

٥ — يحاول الخضر أن يجعل رغبته في الامتناع غير واضحة من جهتين ، احداهما أنه لم يصرح بعدم رغبته في تعليمه ، والاخرى أنه ختم رده عليه بسؤال (كيف تصبر ..) بمعنى اذا كانت لديك وسيلة للصبر أو كنت واثقا من مقدرتك عليه ، فأجبني وعندئذ لا أمانع في تعليمك اذا اقتنعت بقولك . واذن فالنتيجة يحددها رد موسى على هذا السؤال ، وسنعرض له .

٦ — حين استمع الخضر الى جواب موسى ووجده مصمما على التعلم ، ووجد جوابه في المنطق العادي مقنعا للذين لا يعلمون النتائج والمستقبل ولا مبرر حينئذ للخضر في الرفض ، وافق على قبوله طالبا يتعلم على يديه ولكنه اشترط عليه شرطا (قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) والتعبير بلفظ (ان) يوحي بالشك في استمرار تبعيته له ، وهو

عود الى ما ذكره أولا . والتنكير فى (شئ) فيه الواقع القاسى على موسى .وهو أنه لا يستطيع الاستفسار عن شئ قط فالتنكير للتعميم .

ولفظ (أحدث) يوحى بأن أى توضيح من جانب الخضر لابد أن يكون نابعا من رغبته . وأن يكون هو البادئ به . فلا يستدرجه أحد الى الحديث . ولا يجره أحد الى بيان مالا يريد بيانه .

جواب الطالب :

وحين وجه الخضر سؤاله الى موسى عن كيفية صبره على ما يجهل السبر أو المبيح له لجأ موسى الى ما يعرف بأسلوب الحكيم وهو تجاهل السؤال .والاجابة بما يتطلبه الموقف . فلم يجب على سؤاله . وكأنه يقول له : لا يعنيك كيف أصبر . وانما يعنيك ما تريده ، وهو أن تجدنى صابرا أثناء صحبتى لك .

وبالاضافة الى هذه البراعة السابقة فى جواب موسى . نجد فى مضمون جوابه :

١ — وعد بتحقيق ما يطلبه أستاذه ، وهو الصبر . وقد كان دقيقا فى هذا الوعد . فلم يؤكد له مقدرته على الصبر . وانما ساقه مساق التوقع بلفظ (ستجدنى) .

٢ — يلغة المؤمنين يقرن موسى فعل المستقبل بمشيئة الله فيقول (ستجدني ان شاء الله صابرا) كما يقول تبارك وتعالى (ولاتقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله) فان المستقبل لا يملك مخلوق قط منه شيئا . لانه لايدري ماذا سيكون فيه . بل لايدري أيظل حيا لهذا المستقبل أم لا . فالذي يملك المستقبل هو الله سبحانه . ولذلك يجب أن يقرن كل فعل للمستقبل بمشيئة الله سبحانه .

٣ — ونجد أيضا وعدا بتحقيق ما عرضه موسى على الخضر منذ بدء لقائه وهو أن يكون تابعا له . فالتبعية تقتضي الطاعة الكاملة ولذلك ينفي أن يصدر منه عصيان قط للخضر (قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا)

وحينئذ يكون قد قدم الى الخضر ما يريده وهو الصبر وقت صحبته . ويزيد على ذلك تقديم ما ألزم نفسه اياه . وهو التبعية التي تترتب عليها الطاعة الكاملة . قارنا كل ذلك بمشيئة الله .

وقد سبق القول بأن هذا الجواب من موسى . اقتضى قطع حجة الخضر . فلم يعد له مبرر لرفض التعليم . حيث أن حجته أن موسى لن يستطيع الصبر . فما دام موسى يثق في مقدرته على الصبر . بل على درجة فوق الصبر العادي . وهي التبعية المتضمنة للثقة المطلقة . فلا حجة بعد ذلك للخضر . وكونه

يعلم النتيجة المستقبلة في الغيب • فهذا غير مبرر أو مقنع لمن لايعلم الغيب • لأن العقل لايستطيع أن يبني أحكاما تخرج عن حدود المدركات العامة للبشر • فضلا عن أن يجعلها موضع الاقتناع • (١)

العبرة :

والمحاورة حافلة بالتوجيه والعبرة في جوانب عديدة ولكننا اذا نظرنا اليها من الجانب التعليمي وحده • الذي هو موضوع الاستشهاد بالمحاورة • نلمح فيها :

١ - تبرز المحاورة في سياقها مثالا لما ينبغي أن يتنبه اليه الناس من اهتمام بالعلم • والسعي اليه • وبذل أقصى ما يتاح من جهد لالتماسه وتحصيله • فان سياق المحاورة • في الايات السابقة لها • يرفع لنا مثالا رائعا مشرفا • فيما بذله موسى وصمم عليه حتى وصل الى العالم الذي يريد أن يلتمس العلم عنده • وبذل عليه (واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا) والحقب في اللغة ثمانون سنة • يقول لخادمه : لابد من الوصول الى هذا العالم عند مجمع البحرين • ولو كلفني هذا سفري ثمانين سنة • وقد لقي

---

(١) د / عبد الحليم حفني : أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ص ١٤٥ •

في سفره هذا من العناء المضني ما كان كفيلا أن يزهده في أي هدف آخر ، الا العلم ، فانه يحتمل في سبيله أقصى ما يحتمل ومثال هذا (قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) والنصب التعب الشديد ، وطلبه الغداء يدل على أنه اجتمع عليه التعب والجوع .

وكل ذلك يحتمله لا لشئ ، الا للتصميم على تحصيل العلم .

٢ — تتضمن المحاورة مثالا لخلق طالب العلم في عدة نواح ، منها تواضعه وتناسيه لكل ميزة أو صفة ترفعه أو تميزه عن غيره ، كما تناسى موسى أنه نبي ، في توسله الى هذا العالم أن يقبله طالبا ، وكما تناسى أنه يملك بعض التميز الاجتماعي ، ودليله أن له يه خادما فهو ليس من الطبقة الدنيا في المجتمع ومع ذلك يتناسى كل ذلك في حضرة معلمه ، فلا يستخدم خادمه في المراسلة مع معلمه ، ولا يخاطبه من موضع التعالي أو التوسط بل من الموضع الادنى حيث يطلب منه قبوله تابعا مطيعا لا يعصى له أي أمر ، ومن نواحي هذا الخلق اختيار الطالب لاحسن الاساليب والالفاظ في مخاطبة معلمه ، دون أن يرى غضاضة في الخضوع له .

وكل هذه المعاني ان دلت في المجتمع على تفرقة بين الناس حين تجعل من بعضهم أحيانا سادة أعزة ، ومن بعضهم

أتباعا مهينين • فانها في دور العلم لا علاقة لها بشيء من ذلك • وانما تدل على شيء واحد وتحققه أيضا • وهو الثقة الكاملة للطالب في معلمه • هذه الثقة التي ان فقدت فلن يستفيد الطالب من معلمه • وبمقدار نقصان الثقة • تنقص الفائدة فاذا اكتملت الثقة تحولت الى تبعية روحية من الطالب لمعلمه • كهذه التي تعرضها المحاورة •

٣ـ تتضمن المحاورة بيان أهم ما يلزم طالب العلم في تحصيله العلم لنفسه • وهو الصبر على ما يقتضيه تحصيل العلم من جهد نفسي وعقلي وبدني • ولذلك نجد الخضر لا يريد من طالب علمه الا شيئا واحدا هو الصبر وقد يقال ان الموقف منصب على نوع معين من العلم الغيبي لا يستطاع السكوت والصبر على آثاره • والجواب أن هذا حق • ولكنه لا ينفي أن هذا العلم الغيبي أيضا نوع من العلم • ولئن كان العلم العادي يحتاج الى الصبر في التحصيل • فان العلم الغيبي أحوج اليه في التطبيق • فالعلم عامة يحتاج أول ما يحتاج الى الصبر والتحمل في تحصيله • وكل شيء يمكن تصور الحصول عليه دون جهد وعناء الا العلم • فيمكن تصور الحصول على المال أو المنصب أو نحوهما دون عناء • ولكن الشيء الوحيد الذي لا يتصور اكتساب شيء منه دون جهد هو العلم • ومما يلفت النظر في المحاورة • أن الخلاف كله بين الخضر وموسى كان يدور حول

الصبر على تحصيل العلم .

٤ — أن يكون للطالب ، وللتعليم نفسه هدف محدد وينبغي أن يكون هذا الهدف واضحا في خيريته ونفعه ، كما حدده موسى في الرشد ، بمعنى الاسترشاد به الى الخير (على أن تعلمني مما علمت رشدا) ومن أشد العقبات التي تعترض العلم في كل العصور فتحول دون تقدمه أو عموم نفعه ، انحصاره في أغلب الاحيان في احدى رغبتين ، رغبة الطالب في مجرد أن يتخذه سلما يرتقي به الى تحقيق هدف شخصي ، فاذا حققه فلا بأس بأن يلقي بهذا العلم فيما يلقي من المهملات ، ورغبة المجتمع في أن يتخذ من العلم مجرد أداة للهدم والتحطيم ، فاذا حقق ذلك ، أو فرغ من شأنه ، لم تعد للعلم عنده أهمية ، كما نرى في تسخير الامم علومها لصناعة السلاح ، وفي أغلب احوالها ليس للدفاع ، وانما للبغي والعدوان أحيانا ، وللتجارة أحيانا أخرى ، بينما لا يحظى بذلك الطب الذي تتلهف البشرية على كل خطوة يخطوها ، ولكنه لا يكاد يخطو ، لأنه لا يحظى بأيسر الاهتمام ، وحتى الخطوات المشلولة التي يخطوها انما تتم بجهود فردية نابعة من نفوس خيرة ، وليس من جهود أمة .

٥ — تبين المحاورة مثالا لما ينبغي أن يكون عليه العالم من خلق ومن جوانب هذا الخلق :

(أ) ألا يبخل العالم بعلمه فلا ينبغي قط أن يضن بعلمه

على طالب ، ماد ام هذ ا الطالب صالحا لتلقي العلم بمعنى أن يكون هناك أى أمل في استفادته • ولذ لك نجد الخضر لا يبد ى أى ممانعة في بذ ل علمه ،وانما المحاورة مبنية على أنه يعلم أو يرجح أن هـذ ا لن يستفيد من علمـه •

(ب) أن يكون المعلم رفيقا بطالب علمه رحيما به مستعد للتجاوز عما قد يصد ر منه من هفوات ماد ام حسن النية • وفي المحاورة وخاصة في الآيات التالية •عد ة أمثلة لهذ ا ومن ذ لك أنه بعد أن اتهم موسى أستاذ ه بالاجرام حين قتل الغلام قائلا (لقد جئت شيئا نكرا) كـان كل رد معلمه عليه (ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) ؟

(جـ) أن يعتمد المعلم على الاقناع • فانه اذ ا فقـد الاقنـاع خسر أهم ما يميز المعلم • وكيف يستفيد الطالب من شيء لا يقتنع به ؟ ولذ لك نجد الخضر يعتمد على أسلوب الاقناع • كقوله معللا لحكمـه على موسى بعد م الصبر (وكيف تصبر على ما لم تحط به خـبرا) (١) ثم كانت محاورته بعد ذ لك كلها تتضمن نوعـا من التعليل •

---

(١) اسلوب المحاورة في القرآن الكريم ص ١٤٦ ـــ ١٤٨

أهم مراجع الكتاب

١ـ القرآن الكريم
السنة النبوية المطهرة .
٢ـ محاضرات في البحث الادبي د /محمد عبد الرحمن المسلوت ١٩٨١
٣ـ التعريفات للشريف الجرجاني .
٤ـ احياء علوم الدين فلامام الغزالي .
٥ـ كتاب المسامرة في البحث والمناظرة للشيخ محمد على سلامة
نشر دار الطباعة الحديثة سنة ١٩٣٥ .
٦ـ ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة للشيخ عبد الرحمن
حسن الميداني بن حبنكة طبعة دار القلم ببيروت ١٩٧٥ .
٧ـ أصول البحث والمناظرة د / طلعت غنام نشر مطبعة الفجر الجديد
٨ـ لسان العرب لابن منظور مادة حور طبعة أولى .
٩ـ مدخل الى الاستدلال القرآني د /عبد الله الشا .لى طبعة أولى
١٠ـ المعجم الوسيط حـ ٢
١١ـ الكافية في الجدل للجويني تحقيق الدكتورة فوقية حسين نشر
مكتبة الكليات الازهرية عيسى البابي الحلبي .
١٢ـ طاش كبرى زادة : رسالة في علم البحث والمناظرة تحقيق عبد
الرحمن ابن عقيل.
١٣ـ القاموس المحيط .

١٤- أسلوب المحاورة فى القرآن الكريم د / عبد الحليم حفنى
١٥- تاريخ الجدل للشيخ محمد أبو زهرة .
١٦- نقض المنطق لابن تيمية . تحقيق الشيخ محمد عبد الرازق طبعة أولى .

" الفهرست "

الموضــــوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحـة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة